الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد بوضياف المسيلة
قسم الفلسفة

العنوان:

الرؤية التوحيدية عند عبد الوهاب المسيري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب:
ـ بن وذنين مراد

إشراف الأستاذ:
ـ بوراس يوسف

الموسم الجامعي: 2016/ 2017

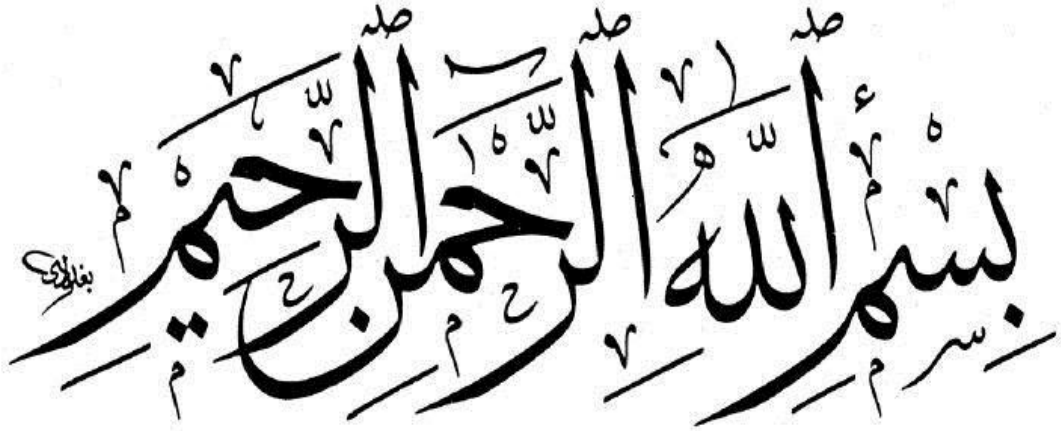
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أهدي هذا العمل إلي أمي الغالية التي منحتني دافعا قويا

في مشواري الدراسة، وإلي أبي العزيز صاحب الفضل

في سهر علي كل صغيرة وكبيرة في حياتي وإلى

الإستاد بن عروق مرزوق الذي ارسي قاعدة العلم فينا

وإلي الأستاذ عباد الدراجي الذي لم يبخل بنصائحه لنا

وإلى كل الأصدقاء من قريب وبعيد أخص بالذكر

شوفي داود والبشير زكراوي اللذان ساعداني في مذكرتي

كثيرا وإلي خطيبتي سارة التي لم تبخل بدعوتها لي

مراد

شكر وثناء

قال الله تعالى ''ولئن شكرتم لأزيدنكم''

وما توفيقي إلا بالله...الحمد لله الذي وفقني

لإكمال هذا البحث، وككل هدف منشود فلابد

للقافلة من قائد ولا بد للسفينة من ربان...فأقف

وقفة إجلال وتقدير للأستاذ المشرف "**بوراس يوسف**"

الذي كان لي العون والسند كما أخص بالذكر الأستاذ

"**محمد الشريف الطاهر**" الذي لم يبخل عني بنصائحه،

وفقه الله لما يحبه ويرضاه...

كما أتوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير

والامتنان لكل أساتذة قسم الفلسفة

والزملاء والأصدقاء الذين لم يبخلوا علينا بتقديم

يد المساعدة ولو بكلمة تحفيزية.

مـــقدمـــة

مقدمة

إن الحـديث عـن الفكـر الغـربي يجعلنـا نتحـدث علـى مجموعـة مـن الإشـكاليات الفلسـفية ذات الأبعـاد المعرفيـة والكونيـة, في قضـية الجـوهر الإنسـاني والإلهـي, وهـذا يظهـر لنـا مـدى قـوة المنظـور المـادي والطبيعـي في تضـييق مسـاحة حريـة الإنسـان، فهـذه الرؤيـة شـكلت حيـزا مهمـا في تمجيـد المصـطلحات العلمانيـة، الـتي تقضـي علـى القـيم الإنسـانية, وتجعلهـا أكثـر صـلابة وسـيولة، خاصـة في المجتمـع الغـربي الـذي يـبرز فيـه مبـدأ الواحديـة الـذي يقضـي علـى المسـافة بـين الخـالق والمخلـوق وعلـى الصـفات الإلهيـة وبذلك حصر هذا المنظور في المادية أو الحلولية الكمونية.

وبنـاء علـى هـذا ظهـر لنـا نمـوذج منـاقض للرؤيـة الأولى المتمثلـة في الرؤيـة التوحيديـة، بحيـث يعتمـد علـى المنظـور الإلهـي في إفـراده بـالخلق وضـرورة وجـود مسـافة بينـه وبـين المخلـوق, ومـن جهـة أخـرى يـرى المحافظـة علـى القـيم الإنسـانية والـدفاع عنهـا, ولعـل هـذا مـا جعـل الكثـير مـن المفكـرين يتعمقـون في هـذا الموضـوع، ويخصصـون لـه حيـزا كبـيرا مـن التحليـل, وابـرز هـؤلاء الدارسـين نجـد المفكـر المصـري عبـد الوهـاب المسـيري والـذي أعطـى لهـا أبعـادا إنسـانية، بالاعتمـاد علـى الكتـاب والسـنة، بعيـدا عـن المنظـور المادي, وتبنى مشروع بديل يطور الحضارة الإسلامية قائم على مبادئ التوحيد الأساسية.

وعلـى مـا سـبق نطـرح الإشـكالية الآتيـة: لـو نظرنـا إلى الفكـر المـادي الـذي يظهـر في كامـل النمـاذج المعرفيـة والإنسـانية, بشـتى المصـطلحات العلمانيـة والحلوليـة، ومبـدأ الواحديـة الـذي يقضـي علـى الإنسـان وعلـى المقـدس وتسـاويها مـع المـدنس، فـإن هـذا مـا يـبرر ظهـور الرؤيـة التوحيديـة كعنصـر مفـارق للنمـوذج المعـرفي الغـربي في بنـاء أسـس معرفيـة إنسـانية مناهضـة لمبـدأ الحلوليـة, وانطلاقـا مـن هـذه المفارقـة بين الرؤيتين نقول: **هل استطاع المسيري أن يتجاوز المنظور المادي بمشروعه التوحيدي البديل؟**

وتندرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية:

ما هو التوحيد وأهم مبادئه؟ وما هي أهم الفروقات بينه وبين الحلولية؟

وقـد كـان اختيارنـا لهـذا الموضـوع مجموعـة أسـباب ودوافـع منهـا مـا هـو ذاتي ومـا هـو موضـوعي.. هـي رغبتنـا في معالجـة موضـوع الرؤيـة التوحيديـة عنـد المسـيري وطمعـا في الاسـتفادة مـن نظرياتـه في نقـد النمـوذج المعـرفي الغـربي، ومشـروعه التوحيـدي الـذي يحمـل أبعـادا معرفيـة قائمـة علـى الكتـاب والسـنة, ومـن

الأسباب كذلك فكره الموسوعي التي يخلق في الباحث حب الإطلاع, فضلا عن أهمية ما يسعى له المسيري في تأسيس نموذج معرفي جديد خارج الأطر المادية.

كما اتبعنا في هذا العمل المنهج التحليلي, الذي يتناسب مع الإشكالية المطروحة, بحيث حاولنا أن نبين نقد المسيري للغرب، وأهمية النموذج المعرفي خاصة رؤيته التوحيدية, بتحليل أفكاره من خلا ل القراءات المستمرة لمؤلفاته, بتقديم شواهد ونصوص في كل طرح. .

وتبعا للمنهج المقدم استلزم ذلك منا الخطة التالية، والتي قسمناها إلى ثلاثة فصول إضافة إلى خاتمة, فلقد استعرضنا في الفصل الأول الخلفية الفكرية للمسيري من خلال ابراز فكره الماركسي وانتقاله إلى رحاب الإيمان, وإلى التأثيرات عليه الداخلية والخارجية في مصر وأمريكا, مرورا بنموذجه المعرفي ونقده للحداثة الغربية.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للحديث عن النموذج التوحيدي وأضداده بداية من الحلولية وأهم مبادئها، التي تقوم على الجوهر الواحد لتقضي بذلك على الإله والقيم الإنسانية, ومرورا بالتوحيد الذي جاء كنقيض للرؤية الأولى من خلال إبرازه دور الثنائية والمسافة, كما عقدنا مقارنة بين الرؤيتين والاختلاف الموجود بينهما بداية من المسافة والثنائية والقداسة والإله, وتحدثنا عن من مبدآ تجاوز والتعالي لرؤية المادية وتحرير الإنسان من قيود الطبيعة.

والفصل الثالث كان بعنوان الدراسات المعرفية للمسيري, حيث ركزنا بداية باللغة والمجاز وإبراز العلاقة بين الدال والمدلول، وفي قضية الاتصال والانفصال في المنظور التوحيدي والحلولي، وقدمنا أمثلة على نظرة دي سوسير ونيتشه للدوال, وعرجنا على دور المصطلحات في قاموس المسيري من خلال بنائها بطريقة تكون بعيدة عن تقليد الغرب, ودور الصور المجازية في إدراك الإنسان لله, وانتقلنا إلى الوجود والتاريخ ، ودور هذه الثنائية التكاملية بين الروح والجسد، وفي نفس الوقت نهاية التاريخ الذي يحمل اختلافا كبيرا بين الرؤية التوحيدية والمادية, وبهذا انتقلنا إلي فكرة أساسية عند المسيري في الدور الذي تلعبه الموضوعية الاجتهادية في توليد المعارف، وإعمال العقل ونقده في نفس الوقت للموضوعية الفوتوغرافية, وكمبحث أخير للفصل، خصصناه لمجموعة من الانتقادات وجهت لفكر المسيري ولمضامينه الفكرية، وخلصنا في خاتمة البحث لأهم النتائج التي استنبطت من كل ما سبق ذكره.

وعـن الصـعوبات والعوائـق الـتي واجهتنـا أثنـاء إنجازنـا هـذا البحـث, صـعوبة الوقـوف علـى أبعـاد المسـيري الفكريـة، مـن خـلال تحليلنـا لنصوصـه المعرفيـة الـتي اتسـمت بـالتكرار في أعمالـه, وهـو السـبب الـذي جعلنـا لا نفهـم نسـقه الفكـري العـام, ثم كوننـا مبتـدئين في البحـث لا متمرسـين, كمـا نجـد نـدرة الدراسات السابقة حول الموضوع، مما شكل لنا عائقا في الإلمام بالموضوع ووضع خطة مناسبة..

وفي الأخـير نرجـو أن يكـون هـذا البحـث في مسـتوي التطلعـات, وتقـديم ولـو رؤيـة بسـيطة حول مشروع المسيري التوحيدي في تطور الحضارة الإسلامية.

الفصل الأول :

مرجعيته الفكرية ونموذجه المعرفي

المباحث :

- أصوله الفكرية
- المصادر العربية والغربية لفكر عبد الوهاب المسيري
- نموذجه المعرفي ومشروعه في نقد الحضارة الغربية

الفصل الأول: مرجعيته الفكرية ونموذجه المعرفي

تمهيد:

شكل المفكر الراحل "عبد الوهاب المسيري"* حالة متميزة وفريدة في تاريخ الفكر العربي والإسلامي المعاصر، حالة ترتقي إلى حد الإستثنائية، ليس فقط بالنظر إلى شمولية اهتماماته المعرفية في مجال الأدب والنقد وفلسفة التاريخ والعمل الموسوعي والترجمة، ولكن بالنظر إلى أصالته الإبداعية في مجال التنظير الأكاديمي والاجتهاد المنهجي والنحت الاصطلاحي والمفاهيمي، لقد كان رحمه الله صاحب رؤية فلسفية حضارية تؤمن بتعدد أبعاد مشروع التأسيس الحضاري في مجالات العلم والمعرفة والأخلاق والقيم والسياسة والإجتماع، مما طوره مشروعا فكريا تجديديا منهجيا، له امتدادات إيمانية وإنسانية بما يمتلكه من أدوات معرفية في صياغة وصقل جوانب أساسية في الحضارة العربية الإسلامية.

ويعد المسيري أحد أبرز المهتمين بالقضايا المعرفية والمنهجية، حيث طور دراسة النماذج المعرفية وتعمق في دراسة الفكر الغربي والحضارة الغربية، وأهم الأفكار التي عالجها في دراسته للفكر الغربي والنموذج الذي أسسه، فما هي أهم هذه التحولات وتأثيرات الفكر الغربي فيه؟ وما هي أهم المواضيع أو الإشكاليات التي عالجها في مشروعه الفكري؟

---

* مفكر مصري معاصر، ولد في 08 أكتوبر 1938م "بدمنهور" بمصر، ، لقب باليهودي المسلم تيمنا بالطرق الصوفية، تلقى تعليمه الجامعي بالاسكندرية وأمريكا، تحصل على ليسانس سنة 1959م، والدكتوراه سنة 1959م . إنجليزي في جامعة الإسكندريةعام1959، ثم على شهادة الماجيستر والدكتوراه في امريكا الأدب الإنجليزي المقارن من جامعة كولومبيا ثم شهادة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي الأمريكي المقارن عام1969 بعنوان "الأعمال النقدية لوليام ورد زورت،وولت, لديه العديد من المؤلفات بداية من لغة والمجاز بين وحدة الوجود ,والموسوعة اليهودية الصهيونية التي تضم خمسة اجزاء'اضافة الي العديد من المقالات والمقابلات التلفزيونية, توفي 03 جويلية 2008م (عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمرة، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة، ط1، 2001م)

المبحث الأول: أصوله الفكرية

لـو تأملنـا في الفكـر العـربي لوجـدنا أن لكـل مفكـر أو فيلسـوف عـايش أحـداث فكريـة سمحـت لـه بتطـوير أفكـاره ومشـروعه الحضـاري، ولعـل مـن بـين هـؤلاء المفكـرين عبـد الوهـاب المسـيري، والـذي قـدّم لنـا دراسـات شـاملة للفكـر الغـربي والعـربي علـى حـدّ سـواء، وهـذا لمـروره برحلـة فكريـة طويلـة، فكيـف كانـت إذا رحلة المفكر الفكرية؟

لقـد كانـت الرحلـة الفكريـة للمسـيري مملـوءة بالبحـث عـن شـؤون العلـم والمعرفـة المحترقـة بنـار الأسـئلة والإشـكاليات المركبـة، حيـث شـهدت مسـيرته الفكريـة الكثـير مـن التحـولات الجذريـة مـن تقليـدي إلى محـافظ إلى قـومي مـرورا بالماركسـية الـتي كـان لهـا تـأثيرا بالغـا في مسـيرته الفكريـة، حيـث يقـول المسـيري بهـذا الصـدد: "بـدأ مسـيرة الإلحـاد رغـم في ذلـك الوقـت لم أكـن أؤمـن بـالله إلا أنـني كنـت أؤمـن بـالقيم المطلقـة للإنسـان والقـيم المطلقـة للأخـلاق، وكـان هـذا الإيمـان بالمنطلقـات يتنـافى مـع الإلحـاد الكامـل وإيمـان بثوابـت ومنطلقـات لا يمكـن أن تسـتند إلى عـالم المـادة وعـالم الطبيعـة، ولكنهـا تسـتند إلى الله ويمكـن القـول أن نسـميها مرحلـة التسـاؤل العميـق، ولقـد اكتشـفت في بدايـة حيـاتي لفـترة قصـيرة بـالإخوان المسـلمين وفي مرحلـة الصـبا، ثم اتجهـت إلى الماركسـية وعشـت مرحلـة مـن الشـك ولكـن مـع الإلـزام بـالقيم المطلقـة ... فجـوهر رؤيـتي إلى العـالم أن الإنسـان كـائن فريـد ولـيس كائنـا ماديـا"[1]، ويتضـح لنـا أن المسـيري شـهد مـا يسـمى بالبحـث عـن الهويـة والصـراع الـداخلي الـذي كـان يعيشـه منـذ مـدة طويلـة عنـدما كـان ماديـا ماركسـيا، والغريـب في الامـر أن الرجـل شـهد تحـولا إيـديولوجيا وفكريـا ولم يتحـول سـلوكيا وقيمـا فقـد ظـل شخص مستقيم حتى أنه في فترة الشيوعية وصف نفسه بقوله: "ماركسيا على سنة الله ورسوله".

وأكـد المسـيري في كثـير مـن محاوراتـه أن الإيمـان أتـى بعـد رحلـة طويلـة وشـاقة، ولـذا فـإن الإيمـان عنـده إيمـان عقلـي لم تـدخل فيـه العناصـر الروحيـة، فهـو يسـتند إلى عجـز المقـولات الماديـة عـن تفسـير الإنسـان وإلى ضـرورة اللجـوء إلى مقـولات فلسـفية أكثـر تركيبيـة، ويعـبر المسـيري عـن ذلـك قـائلا: "ولقـد عمـق مـن شـكوكي وبخصـوص النسـبية الماديـة وقـراءاتي لكتـاب "أرفي نـج بايـت" و"روسـو" والرومانتكيـة، وبايـت مؤلـف رجعـي لكـن كتابـه كـان لومـا لاذعـا علـى الطبيعـة الماديـة الـتي سماهـا "رومانكيـة"، بـالرغم أن

[1] حوارات مع عبد الوهاب المسيري، مجلة مراجعات، العدد 2، سبتمبر 2000م.

المؤلـف نفسـه لم يكـن يـؤمن بـالله، فإنـه كـان يـرى اسـتحالة أن يعـيش الإنسـان داخـل نفسـه أو داخـل العـالم الطبيعـي"[1]، لقـد نبهـت هـذه المقولـة التقـاء الرومـانتكيين وعبـد الوهـاب المسـيري إلى أشـياء مهمـة جـدا هـي أن الإنسـان لـيس ماديـا ولا يعـيش داخـل مـا يسـنى بالطبيعـة والمـادة، لأن الإنسـان يحمـل مجموعـة مـن القـيم والأصـالة، وتتمحـور رؤيتـه في أن الإنسـان كـائن فريـد ولـيس كائنـا ماديـا، وأن المسـاواة بـين البشـر مسـألة ضـرورية، فالإنسـان بـلا شـك يعـيش في عـالم المـادة ويمثـل جـزءا منهـا، إلاّ أنـه قـادر علـى تجـاوز السقف المادي، ودراسة المسيري عن المادية بينت له أثرها على الانسان وواقعه.

فلقـد أثـار المسـيري في دراسـته النمـوذج المعـرفي المـادي وإشـكالياته المركبـة جملـة مـن المشـكلات حصرها في الأسئلة المنهجية التي هي كالتالي:

مـا هـي علاقـة الإنسـان بالمـادة؟ وهـل الإنسـان كائنـا ماديـا فحسـب؟ مـا هـو التفكيـك الـذي تـدعو إليـه الفلسـفة الماديـة؟ ومـا هـي مرجعيتـه الـتي تشـكل أفكـار الإنسـان؟ ويرجـع عليهـا كـل أسـاس فكـري؟ وهـل يمكن وصفها بالأخلاق؟[2]

وبعيـدا عـن تفسـيرات المسـيري الماديـة، نجـد لـلأدب دورا هامـا في تفعيـل مسـاره الفكـري والفلسفي لهذا المفكر، من خلال تأسيسه لمشروعه تحليله النقدي.

أ/ أثر الأدب في فلسفته:

لقـد ضـل الموضـوع الأدبي ضـمن اهتماماتـه الأساسـية في تفسـير فكـره مـن خـلال اكتشـافه لمضـامين عديـدة منهـا نهايـة التـاريخ ووحـدة الوجـود المـادي في الغـرب وهـذا مـا أكـده في قولـه: "فـالأدب الإنجليـزي كـان المـدخل الرئيسـي لإدراك الـدكتور عبـد الوهـاب المسـيري لمضـامين نهايـة التـاريخ ووحـدة الوجـود المـادي في الغـرب"[3]، ويوضـح لنـا المسـيري دور الأدب في فكـره مـن خـلال مشـروعه ونموذجـه المعـرفي، ويظهـر هـذا التـأثير جليـا في كتاباتـه لقصـص الأطفـال الـتي يخـرج في كـل قصـة بحكمـة سـواء كانـت هـذه الحكمـة تحمـل مضـامين خـير أو شـر، ولعـل الـدافع الرئيسـي لهـذا التـأثر الواضـح هـو الواقـع الإسـلامي

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمرة، مصدر سابق، ص 223.

[2] المصدر السابق، ص 212.

[3] عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، دار الفكر، دمشق، 2009م، ص13

المعاصر وما يميزه من سيطرة الفكر المادي، وبغية التحرر من هذا الفكر، فقد استعمله في التحليل والنقد والتفسير في النماذج التفسيرية التي تحدد علاقة الخالق والانسان والطبيعة، حيث أصبح ربط الأحداث عنده بين المعرفة والسياسة والأدب والفن والثقافة، حيث وضع كل منها في نماذج فضفاضة لا تتعلق على ذاتها.

ويتحدث المسيري كذا تأثره بالأدب ودوره في صقل أفكاره في قوله: "لم أتوقف قط عن الدراسة الأدبية التي لم تكن خارج نطاق اهتماماتي الفكرية، بل إن دراستي الأدبية كما أسلفت هي التي عززت اهتماماتي بالخصوصية قضية التحليل من خلال النماذج، وأهمية الشكل والصورة المجازية، كما أن هذه الدراسة كانت بمثابة تدرب على قراءة النصوص وعلى كيفية تحليل الشكل لنصل إلى الموضوع الأساسي الكامن كما أن طريقة عرضي لأفكاري قد تأثرت بلا شك بدراستي الأدبية"[1]، ويؤكد المسيري أن الأدب شكل عنصر مفارق في حياته الفكرية، حيث قدمت له نظرة تحليلية ساهمت بشكل كبير في بلورة فكره الفلسفي والأدبي، من خلال قراءة النص الديني والصورة المجازية ويظهر ذلك في كتابه "اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود"، وفي هذا الكتاب دليل على تعلقه بالشعر والأدب الانجليزي الذي كان مؤلفا به، لأنه كان يملك عنصرا مهما في الرومانسية وقوة كبيرة في مجال التحليل والانغماس في طبيعة وخلق مخيلة واسعة لشاعر، ومحاولة منه زرع الإنسانية في الحضارة الإسلامية التي قضت عليها الحداثة الغربية، فالأدب عنده عظيم يرفض هذه الاختزالات ويحاول أن يعود بالإنسان لذاته، ولقد تعدى المسيري في هذا الصدد إلى الانغماس إلى طبقة حساسة في المجتمع وهو طفل لتوعية فكره بالأدب والقصص التي تحمل أبعاد واقعية.

ب/ فلسفته:

إن المفهوم المركزي في فلسفة عبد الوهاب المسيري هو مفهوم النظرة إلى العالم، ويعبر عنه بمصطلحات متعددة، مثل رؤية الإنسان للكون، النسق المعرفي، النسق الفلسفي، وتأسيس على هذا المفهوم تتشكل باقي عناصر فكر المسيري، فيظهر مفهوم النموذج المعرفي باعتباره تطبيقا واقعيا للرؤية الإنسانية، ومهمة النموذج المعرفي هو تحقيق الاتساق بين العناصر المختلفة في نظرتها إلى العالم.

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمرة، مصدر سابق، ص495

ويعتمد المسيري في فكره على الجانب النظري والتطبيقي، الجانب النظري يتمثل في التصورات الأساسية التي يتركز عليها نقد الحداثة الغربية والنتائج التي ترتبت عليها، أما الجانب التطبيقي فيتمثل في معالجة ظاهرة الصهيونية باعتبارها جزءا من فكر الحداثة، ولذلك يعد فكر المسيري فكرا معرفيا وليس إيديولوجيا، فالفكر المعرفي يؤسس مقولاته على أسس نظرية لها قيمتها المعرفية، ثم ينبني عليها بشكل تحليلي تركيبي تصوراته الواقعية، وهو ما يسمي بالفكر التأسيسي، "أما الفكر الإيديولوجي فعلى العكس يبدأ من تصورات واقعية ثابتة ويبني عليها المبادئ النظرية، فيتجه من أعلى إلى أسفل فالابستيمولوجيا المعاصرة لا تبحث عن الاعتقادات اليقينية وإنما عن الاعتقادات المبررة.[1]

والأسس النظرية التي ينطلق منها المسيري في أبحاثه ودراسته للحضارة الغربية هي فكرة النقد للحداثة وما بعدها، وقد استعمل مجموعة من القواعد والأسس التي تحمل في طياتها الأبعاد الموضوعية والفلسفية المختلفة، خاصة الأطر المعرفية والنسق المرجعي حيث يقول: "لا ريب أن المنهج أو حدّته لا يكفي لتحقيق أغراض العلم المختلفة، سواء في التحليل أو التفسير إضافة إلى ذلك فهو يحتاج إلى إطار مرجعي تردّ إلى المعطيات التي جمعت من البحث باستخدام مختلف من المناهج والأسباب بغية تحليلها وتفسيرها"[2]، ويقصد هنا المسيري أن الأسس الحقيقية في استخدام المنهج الذي تبناه في فكره ورؤيته للعقل التوليدي بحيث رفض رفضا قاطعا بما يسمى بالرصد المباشر.

وانطلاقان من هذه الأدوات المنهجية والمعرفية يتحدد فكر المسيري باعتباره ناقدا للرؤية الحداثية الغربية للكون، وفي نفس الوقت دعوة إلى الاعتماد على الرؤية الحداثية الإسلامية ورفض الرؤية الغربية الحداثية كونها غير إنسانية، وهذا ما سنقوم بشرحه لاحقا في المبحث الثالث بشكل موسع، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم مشروع المسيري إلى أربع جوانب أساسية:

الأول هو منهجه المعتمد على مفهوم رؤية الكون أو النظرة على العالم، ثم على النموذج المعرفي وأسلوب صياغة المصطلحات، والثاني هو نقده للحداثة حيث طرح تصورا خاص بفكرة الإستنار (التنوير) وعن مفهوم العلمانية، وهذه العناصر تتكامل مع بعضها البعض لتحقق النظرة الشمولية

[1] سمير أبو زيد.موقع الدكتور عبد الوهاب المسيري، موقع فلاسفة العرب

[2] عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، مصدر سابق، ص 439.

والعميقة للظواهر والتي هي الهدف الأساسي للإعتماد على هذه العناصر المنهجية، خاصة نظرته إلى العالم أو السمة الجوهرية أو النسق المعرفي وهو المطلق النهائي، والمصدر المعرفي النهائي.

وهذا المطلق إما أن يكون منفصلا عن الكون ومستقلا عنه، أو يكون حالا في الكون وكامنا فيه، بمعنى "كل نسق معرفي يدور حول مطلق بمعنى ركيزة نهائية أو أساس نهائي".

ويمكن أن نعرف هذا المطلق حسب المسيري بقوله: "المطلق هو المركز الذي يتجاوز الأجزاء جميعا ولا يتجاوزه شيء، وبأنه ما يؤدي وجوده لا تماسك أجزاء النسق فهو مصدر الوحدة والتناسق وهو ركيزة نهائية للنسق"[1]، ويؤكد المسيري في نظرته إلى العالم أن له سمات معينة يمكن أن يتم صياغتها فلسفيا، ولكن لا يمكننا لغويا التعبير بشكل كامل عن هذه النظرية بحيث تصبح هذه الصياغة نموذجا، لأن وظيفة المعرفة غي العالم تصبح نموذج معرفي.

كما استخدم المسيري صياغة المصطلحات التي تعبر عن التصورات الكلية، التي استخلصها بالأسلوب الاستقرائي الحدسي، ولأن بعض هذه التصورات يكون جديد بحكم المنهج نفسه، فيكون من الطبيعي ألا يوجد ألفاظ في اللغة تترجم بشكل دقيق، وهنا يكون الحل هو نحت المصطلح المطلوب فالمسيري يعطي نفسه الحق في نحت المصطلحات عند الحاجة مثل المادية والحلولية والمادية الصلبة ...الخ.

ويعتمد المسيري في منهجه لمعالجة الظواهر الإنسانية بشكل أساسي على معارضة المنهج التحليلي الذي يسميه التفكيكي، ويذهب إلى ضرورة إدراك الظواهر بمجموعها وبشكل كلي وصحيح، ويمكن إدراكها إلى رؤية تحليلية معادية للإنسان، "والاتجاه نحو تفتيت الظواهر الإنسانية لدراستها، أما المنتشر في بعض الأوساط الأكاديمية التي تلبسها بلباس الموضوعية والعملية وباسمها تدعو إلى عدم الخلط بين النشاط الإنسانية، ونحن نذهب إلى أن هذه الرؤية معادية للإنسان"[2].

---

[1] المصدر السابق، ص439.

[2] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، مصدر سابق، ص 7.

يؤكد المسيري أنه لا يمكن تجزئة النشاط الإنساني تفتيته وتشريحه كل مجال بمعزل عن الآخر كما نفعل في العلوم الطبيعية، وفي سياق متصل يقول: "هذا التصور الكلي للمنهج العلمي يؤدي إلى التفرقة بين المبدع صاحب النظرة الكلية والناقل صاحب النظرة الجزئية، فصاحب الفكر هو الإنسان قد طور منظومته الفكرية تتسم أجزاؤها بقدر من الترابط والاتساق الداخلي"[1]، من خلال هذا يؤكد المسيري أنه يدافع عن الإنسان، فهو ضد دراسة كل ظاهرة على حدى فهو كتلة واحدة لا يمكن تجزيئها.

وما يمكننا أن نستنتجه في نهاية المبحث الأول أن المسيري يملك مشروعا يدافع عن الإنسان، فهو ضد النزعة المادية التي تقتل الإنسان وتقضي على القيم الأخلاقية، إضافة إلى مشروعه الفلسفي النقدي للحضارة الغربية، وإعطائه بدائل ينمي بها الحضارة الإسلامية لكي ترتقي مرة أخرى بمجموعة من الآليات والأسس.

[1] جمال حمدان: اليهود الأنثروبولوجي، العدد الثاني، دار الهلال للطباعة، 1996م، ص 10.

المبحث الثاني: المصادر العربية والغربية لفكر عبد الوهاب المسيري

لا يمكننا أن ندرس أي مفكر دون اللجوء إلى خلفيته الفكرية ومن أين استقلها، وكيف بنى بها منهجيته ومشروعه الفلسفي، وعلى هذا سنحاول إبراز أهم مصادره الفكرية، ومن هنا نتساءل: كيف ساعدت هذه المصادر العربية والغربية في بلورة فكره؟ وتطبيق مشروعه الفلسفي والحضاري؟

أولا: المصادر العربية

1/ الوضع السياسي للعالم العربي:

لقد ترعرع المسيري في زمن كثرت فيه الأحداث السياسية، في مختلف أصقاع العالم خاصة في العالم الإسلامي، فقد كان في هذه الفترة شاهد على الحربين العالميتين والنكسة التي تعرض لها العالم الإسلامي بسقوط الخلافة الإسلامية التي جرى التخطيط لها في المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة (هرتزل)*، في سويسرا عام 1897م،[1] والذي شمل العديد من البنود:

أنه في حالة استمرار عبد الحميد الثاني في رفضه لمطالب الصهيونية، فإن تحطيم الإمبراطورية العثمانية شرط لا بدّ منه لإقامة حكومة صهيونية، إضافة إلى الحروب العربية الإسرائيلية في الشرق الأوسط التي كانت لها أثر بالغ في نحت فكر عبد الوهاب المسيري إزاء الواقع العربي والإسلامي.

أ/ الحرب العربية الإسلامي الأولى: مدتها ثلاث أشهر شنتها الدول العربية من بينها مصر على أثر إعلان قيام دولة إسرائيل 15 ماي 1948م، والتي انتهت بهدنتين.

ب/ الحرب العربية الإسرائيلية الثانية: أو ما يعرف بالعدوان الثلاثي على مصر قامت هذه الحرب ضد مصر، وهي حرب التي شنتها إسرائيل وانجلترا وفرنسا سنة 1956م، عقب تأميم مصر لقناة السويس وقد توقفت هذه الحرب بسبب التدخل السوفياتي والأمريكي.[2]

---

* هو أحد زعماء اليهود في مؤتمر فيينا الذي حاول أن يبيد الإسلام والمسلمين.

[1] أحمد بن عبد الله إبراهيم الريس: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي وموقفها منها، ج4، مكتبة البيان، 1998م، ص 232.

[2] عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993م، ص 207.

ج/ الحـرب الإسـرائيلية الثالثـة: قامـت بهـا إسـرائيل علـى بعـض الـدول العربيـة علـى رأسـها في 5 يونيـو 1967م، والـتي انتهـت بصـفقة الأسـلحة الفاسـدة وضـياع القـدس لصـالح إسـرائيل، كـل هـذا كـان لـه تـأثير علـى فكـر المسـيري واهتمامـه بالقضـية الفلسـطينية والشـؤون الإسـرائيلية والـدفاع عـن الشـعل الفلسـطيني في كل مرة.

د/ الحـرب العربيـة الإسـرائيلية 1973م: تسـمى بحـرب رمضـان لأنهـا وقعـت في ذات الشـهر، في حـين يطلـق عليهـا اليهـود حـرب الغفـران قادتهـا كـل مـن سـوريا ومصـر والعـراق ضـد إسـرائيل المحتلـة، والـتي انتهـت بخروج إسرائيل من سيناء بموجب اتفاقية "كامبد دايفد" مقابل اعتراف مصر بإسرائيل سياسيا.[1]

إن هـذه الحـروب الـتي عاصـرها المسـيري شـكلت لـه بـذرة مـن بـذور فكـره خاصـة المأسـاة الـتي كانـت تعصـف بالعـالم الإسـلامي رغـم أن بعـض الأحـداث حـدثت لـه وهـو في أمريكـا، إلا أنـه كـان حريصـا علـى تتبـع أحـداث العـالم العـربي فكـل هـذه العوامـل سـاهمت في تطـور فكـره النقـدي وتشـكيل عدائيـة للحضـارة الغربيـة الماديـة الـتي كانـت ترتكـز في الأسـاس علـى الكيـان الصـهيوني، ممـا أثـر سـلبا علـى نفسـيته وجعلـه يـدرس الفكـر الصـهيوني، وفي هـذا الصـدد يقـول "... حينمـا ذهبـت إلى أمريكـا للدراسـة اكتشـفت أن اسـرائيل جـزء مـن الإسـتراتيجية الغربيـة، وقـد غـيرت تجـربتي المباشـرة هـذه مـن وجهـة نظـري، وجعلتـني أدرس القضـية الفلسـطينية والمسـألة الصـهيونية كـلّ هـذا في الواقـع جعلـني أقـرر أن أتخلـى عـن دراستي للأدب الإنجليزي، واستمر في دراسة الصهيونية".[2]

يعـد الكيـان الصـهيوني الحصـان الأسـود للمصـالح الأمريكيـة والأوربيـة والمسـتعمرات الأخـرى، والإبـادة العنصـرية الـتي لا تخفـى عـن أحـد، إن أمريكـا هـي المـدعم الرئيسـي للاسـتيطان الإسـرائيلي في فلسـطين ماديـا وعسـكريا، وقـد عـبر علـى ذلـك في الكثـير مـن مؤلفاتـه، لأن إشـكالية الاسـتيطان الإسـرائيلي مـن أهـم الإشـكالات العالقـة في الفكـر العـربي، وقـد لقـي المسـيري تشـجيعا ماديـا ومعنويـا، نظـرا لجهـوده في الـدفاع عـن القضـية الفلسـطينية مـن قبـل المستشـار "أسـامة بـاز".[3]، ولعـل الموسـوعة اليهوديـة

---

[1] المرجع السابق، ص 208.

[2] محمد الديمي: معركة مع الصهيونية بدأت في الغرب وليست في الشرق، مجلة القافلة، 2002م.

[3] عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، مصدر سابق، ص 210.

دليـل علـى كشـف المسـيري للـرأي العـام خبايـا وبـؤر الكيـان الصـهيوني، فكـل هـذه العوامـل سـاهمت في بلـورة النظـرة النقديـة وربمـا حـتى العدائيـة عنـده اتجـاه الحضـارة الغربيـة الماديـة، وهـذه مـا أكـده في حواراتـه التلفزيونية على قناة الجزيرة الإخبارية بعنوان "بلا حدود".

2/ الوضع الثقافي:

لقـد كـان الوضـع الثقـافي في مصـر يمتـاز بالإيجـاب في بدايـة حيـاة المسـيري، كانـت مصـر في تلـك الفـترة تحمـل مجموعـة مـن الكفـاءات العلميـة بوجـود مكاتـب عديـدة الـتي تنـافس بهـا مكاتـب أثينـا أبرزهـا "مكتبـة الإسـكندرية"، والـتي تم اسـتغلالها مـن قبـل هـذه الكفـاءات العلميـة الـتي بفضـلها قـاموا بتـأطير وإنشـاء العديـد مـن الجامعـات علـى غـرار "عـين الشـمس" و"الأزهـر الشـريف" الـتي كانـت تـدرس منـاهج مدرسـة تملـك العديـد مـن الخصوصـيات العلميـة، ومـن أهـم المظـاهر الثقافيـة الـتي كانـت تتجلـى في مصـر خاصـة بعـد ثـورة 1956م، بدايـة مـن مجانيـة التعلـيم وإجباريتـه والنهضـة الـتي شـهدتها مصـر في جميـع المجـالات، المسـرح الصـحف والمجـلات...الخ،[1] وبالمقابـل كانـت تصـدر صـحف يهوديـة مـن قبـل اليهـودي "جـاك روبـان"[2] وأدى هـذا التنـوع إلى خلـق تنـافس في المجـال السياسـي والفكـري مـن أجـل رفـع المسـتوى الثقـافي والرؤيـة السياسـية للـبلاد، ولعـل أثـر هـذا الرافـد الثقـافي في ذات المسـيري تـترجم لنـا الموسـوعة اليهوديـة والصـهيونية الـتي حمـل المسـيري علـى عاتقـه تقـديم دراسـة شـاملة ونقديـة لهـذه الجماعـات حيـث دامت أزيد من ربع قرن من عمر البحث.

3/ الوضع الإجتماعي والإقتصادي:

رغـم أن المسـيري مـن أسـرة عريقـة وثريـة، ‘لا أن وضـع مصـر غـير مسـتقر مـن الناحيـة الإقتصـادية والاجتماعيـة والـتي عاشـها المسـيري وعـبر عنهـا في الكثـير مـن الأحيـان عـن سـخطه علـى هـذه الظـروف الصعبة، ومنه قد عرفت مصر مرحلتين مهمتين على مستوى الحياة الإقتصادية:

[1] محمد حسن هيكل: مصر لا لعبد الناصر، القاهرة، 1998م، ص 90.

[2] أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المجتمع العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1970م، ص 145.

1/ قبل ثورة 1956م:

وتميـزت بسـيطرة العنصـر الأجنـبي علـى الإقتصـاد المصـري، وعلـى هـذا الأسـاس قـال وزيـر مصـر عبـد الجليـل العمـري واصـفا تلـك الحالـة: "لقـد كـان الإقتصـاد المصـري كـالبقرة ترعـى في أرض مصـر لكـن ضـروعها كانـت في خارجهـا"[1]، ويشـير الـوزير المصـري أن مصـر أم الـدنيا الـتي كانـت مزدهـرة وتملـك الكثـير مـن الخيـارات لكـن هـذا الخـير كلـه والازدهـار يوجـد خلفـه أيـدي خفيـة، تأخـذ كـل مـا طـاب مـن دولـة مصر، وهذا ساهم بشكل كبير في انحطاط الإقتصاد المصري بتلك الفترة.

2/ بعد قيام ثورة 1956م:

اختلفـت هـذه المرحلـة عـن سـابقتها بعـودة الأراضـي إلى أصـحابها الأصـليين، وتخلصـت مصـر مـن القبضـة الحديديـة الـتي كـان يمـارس عليهـا مـن قبـل الأجانـب وهـو مـا سمـح لهـا بإقامـة مشـاريع تنمويـة وصـناعية وزراعيـة، وبـدأت المعيشـة تتـنفس قلـيلا بعـد الخسـائر الماديـة الكبـيرة الـتي تلقتهـا مصـر علـى أيـدي الكيـان الصـهيوني الـذي قـدر في تلـك الفـترة بـأربعين مليـار دولار، وهـو مـا انعكـس علـى المنظومـة الإجتماعيـة كانخفـاض الأجـور ونقـص السـلع الضـرورية[2] ، لكـن في عهـد "جمـال عبـد الناصـر" قضـى علـى هـذا الظلـم وحقـق نوعـا مـن العـدل والمسـاواة خاصـة بـين الأقبـاط واليهـود الـذي يعـود وجـودهم إلى قبـل الفتح الإسلامي.

ولعـل السـائل يتسـاءل حـول السـبب الـذي أحالنـا للتركيـز علـى الجانـب الإقتصـادي والثقـافي، حيـث كانـت هـذه التقلبـات الـتي شـهدتها مصـر أثـرا كبـيرا في الجانـب الفكـري للمسـيري وسـاهمت في بلـورة مشـروعه الفلسـفي حيـث اسـتقى كـل هـذا مـن مدينتـه التقليديـة "دمنهـور" عبـق التـاريخ والـتي كتـب عنهـا في مسـيرته خاصـة في مرحلـة الصـبا الـتي تـذكره بـالاحتلال البريطـاني، فدراسـة المسـيري في الغـرب خاصـة في أمريكـا وفـرت لـه فرصـة ليقتـبس منهـا الطـابع الخـاص لفكـره، فلقـد كـان لأسـتاذ المسـيري في صـقل أفكـاره وتوجيههـا إلى المسـار الصـحيح ومـن بـين هـؤلاء "جمـال حمـدان" والـذي كـان يمـارس نشـاطه الفكـري بأمريكـا فهـو صـاحب كتـاب "اليهـود والأنثروبولوجيـا"، يقـول فيـه المسـيري: "بعـد أن انتهيـت مـن كتابـة

---

[1] محمد حسن هيكل: الموسوعة السياسية، مرجع سابق، ص 91.

[2] أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المجتمع الغربي، مرجع سابق، ص 145.

الموسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية"، و "نموذج تفسيري وتصنيفي جديد" جلست لأتأمل فيه مصادر فكري فهي التي جعلتني أتأثر به في طريقة تفكيره ... ومن أهم ما تعلمته منه هو الخروج بالظواهر اليهودية والصهيونية من دائرة التوراة والتلمود، والدراسة اليهودية وإدخالها في نطاق العلم الإنساني العام ووضعها في عدة سياقات تاريخية لتصبح ظواهر مختلفة ذات أبعاد مختلفة، وليست ظاهرة واحدة تتسم بالوحدة، ولكن أهم ما تعلمته منه ومن أستاذه الدكتور "إيميل جورج" و "نور الشريف" و" دايفد آيمر"، طريقة تفكير والنظر وكيفية التعامل في المعلومات وتفسيرها"[1].

وما يظهر لنا أن المسيري تعلم كثيرا من "جمال حمدان" وتأثر به، خاصة في طريقة تفكيره وما يتعلق برفضه لمبدأ الوحدانية المادية، والتعصب للمناهج الرياضية بحيث كان في قمة المنادين برد الاعتبار للمجاز بعد أن قضي عليه، عندما كان ماديا ماركسيا وهذا يسهل في عمله العلمي، كما وجد "داميل" الذي أعطى له نموذجا استطاع أن يتبناه في نموذجه المعرفي وتفسير الظواهر.

2/ المصادر الغربية:

إن دراسة المسيري في الغرب ساهمت بشكل كبير في بلورة فكره خاصة كتابات "كارل ماركس"[2] الذي تبنى فيها منهجه التحليلي، حيث كانت تشكل مرجعية للمسيري، وهذا عامل أساسي جعله يعتنق الماركسية كمنهج ورؤية، ودراسته بصفة عامة للفلسفة والفلسفة المادية خاصة، حيث كان يتساءل كثيرا حسب قوله: "عن أصل الكون الحقيقي؟ وعن أصل الشرفي للعالم؟"[3]، فحاول ألا يعوم ولا يعلي حتى يجد الإجابة وحجته في ذلك أن الإيمان وعدم الإيمان سيان، وتولد بذرة الشك فيه كان هذا القرار نتيجة الفراغ العقائدي الذي أصبح يعيشه، فقام بقراءة كتاب "ماوتسي تونغ" التناقض عام 1957م، فالمسيري قضى ربع قرن مع الفكر الماركسي، حيث ساعده على بلورة توجهاته الإيديولوجية والمنهجية إزاء الحضارة الغربية عموما، ورؤيته للفكر الإسلامي من جهة أخرى،

---

[1] جمال حمدان: اليهود والأنثروبولوجيا، تق: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال، القاهرة، العدد 542، 1996م، ص 41.

[2] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، مصدر سابق، ص390.

[3] المصدر السابق، ص 232.

وكـان لـه علاقـة قويـة مـع المـؤرخ لأمريكـي الكبـير "كـافين رايلـي"*، حيـث أسـس الإثنـين منتـدى اشـتراكي تلقـى فيـه جملـة مـن المحاضـرات ذات موضـوعات مختلفـة، والقـى المسـيري أول محاضـرة لـه بعـد عـام 1967م تحت عنوان اشتراكي عربي يتحدث عن الصراع العربي الإسرائيلي"[1]

وتعـد نقطـة تحـول في المسـار الفكـري للمسـيري مـن مجـال الأدب إلى القضـايا العالميـة الكـبرى، كالعنصـرية الصـهيونية وعلاقتهـا بـاليهود وأزمـة الحضـارة الغربيـة، وصـورها المتحيـزة للأطـر الماديـة بعيـدا عـن كـل القـيم الإنسـانية وإشـكالية التحيـز الأخـرى لهـا، وهـذه الظـروف الـتي مـرّ بهـا المسـيري كانـت بمثابـة الإرهاصـات للعـودة إلى الـدين الإسـلامي، والـدفاع عـن قضـاياه مـن خـلال موقفـه النقديـة الـتي تمحـورت حول العداء للحضارة الغربية بكل أشكالها.

ويجـب أن نشـير إلى شـيء مهـم هـو أن المسـيري تـأثر بفلسـفة كـانط مـن خـلال كتابـه "السـلام الـدائم"، وهـذا مـا لمسـناه في مشـروعه الفكـري الـذي تقـارب فيـه مـع كـانط في الـدعوة إلى الإهتمـام بالجانـب الإنسـاني العـالمي، ومـا نفهمـه مـن توجـه المسـيري وانغماسـه في الحضـارة الغربيـة وتبنيـه لأفكـار مـاركس، هـو أن هـذا التوجـه لـه تـأثير سـلبي وآخـر إيجـابي حسـب قـول المسـيري: "فمـن الأثـار السـلبية تركتهـا علـى فكـره، اعتمـاده علـى مفهـوم الصـراع الطبقـي ووسـائل الإنتـاج أو التفسـير المـادي الإقتصـادي المعيـار الوحيـد والنهـائي في التفسـير، أمـا الآثـار الإيجابيـة فتتمثـل في أنهـا مكنتـه مـن التعـرف علـى أحـد النمـاذج الماديـة المهمـة علـى العـالم في ذلـك الوقـت مـن الـداخل ومعرفتـه لمـواطن القصـور والضـعف في هـذا النموذج، ثم التصدي له ومحاربته والتحذير منه".[2]

إن مـا نسـتنتجه مـن هـذا القـول ومـا تم تحليلـه مـن مواقـف متباينـة في حيـاة المسـيري واهتماماتـه الفكريـة، الـتي كانـت موجهـة بدرجـة أولى للتحليلـي والتفسـير ونقـد الفكـر الغـربي بكـل منظوماتـه الحداثيـة والمعرفيـة، ونقـده للحضـارة الإسـلامية مـن خـلال تحيّـزه للنمـوذج الحضـاري الغـربي، لـذلك تشـكلت لـدى المسـيري رغبـة علميـة موضـوعية لنقـد هـذه الحضـارة بمختلـف أشـكالها، والوقـوف علـى نقائصـها

* مؤرخ أمريكي كتب العديد من الكتب من بينها "الغرب والعالم، تاريخ الحضارة.

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، المصدر السابق، ص 235.

[2] المصدر السابق، ص 123.

وتناقضاتها، في مقابل الدفاع عن الحضارة الأكثر إنسانية وهي الحضارة الإسلامية، ويذكر أن المسيري سئل إحدى المرات سؤال فحواه: إلى أي فكر أو إيديولوجية أو تيار يمكن تصنيفكم؟

فأجاب قائلا: "من ينظر في مؤلفاتي يعلم أن توجهي إسلامي عام، وأنا أعتبر نفسي ضمن تيار الإنسانية الإسلامية، بمعنى عن كل ما هو إسلامي ويتضمن قيما إنسانية".[1] وظل يدافع عنها حتى وافته المنية، وبرزت هذه النزعة في مشروعه العالمي الإنساني بوضوح.

وامتد تأثير المسيري إلى الأدب الإنجليزي لما يحمله من الرومانسية والتأمل الطبيعي للشاعر، خاصة الأديب الشهير "صلاح عبد الصبور" الذي قدم مجموعة من نصوص الشعر الرومانيكي الإنجليزي، وانتقل كما ذكر المسيري إلى دراسة التفكيكية وما بعد الحداثة وتأثر بجاك دريدا الفرنسي، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الدال بالمدلول التي أنتج لها مقال بعنوان "هاتان تفاحتان حمروان" ودراسة في التحيز، مرورا إلى الأبحاث والدراسات التي تأثر فيه بعالم الإجتماع "ماكس فيبر" من خلال عرضه للنموذج المثالي والتفسير والتحليل المنطقي، وهذا ما وظفه المسيري في استعمال آليات التحليل في الموسوعة اليهودية والعلمانية الشاملة والحلولية.

في الأخير ما نستنتجه من هذا المبحث أن المسيري رغم دراسته للفكر الغربي وتأثره به، إلا أنه استطاع أن يقدم لنا فكر راقي يحاول من خلاله أن يعيد الهيبة للإنسان ويقصي المادية الغربية التي اجتاحت الفكر العربي، حيث أسس جملة من الأسس المنهجية والنماذج بمختلف أشكالها لمواجهة الحضارة الغربية وبيان عيوبها، مع الإبقاء على التراث الإنساني والإسلامي على حد سواء.

[1] نقلا عن: أشرف السعيد: إسرائيل تخلت عن منظومة من النيل إلى الفرات، عبد الوهاب المسيري، مجلة العالم الإسلامي، العدد 1812، رابطة العالم الإيديولوجي، السعودية، 2003م، ص 3.

المبحث الثالث: نموذجه المعرفي ومشروعه في نقد الحضارة الغربية

في ظل سيطرة الفكر الغربي المادي على كامل المناهج الفكرية، حالو المسيري أن يؤسس نموذج معرفي ناقد للحضارة الغربية وكاشف لأهم الخفايا فيه، وإعطاء بدائل في إطارها الإسلامي العربي، وهذا ما حاول المسيري أن يثبته في مشروعه المعرفي ونقده للحضارة الغربية، لذا نتساءل: ما هو النموذج المعرفي؟ وما هي النماذج المعرفية والأسس المنهجية التي اعتمدها في دراسة الحضارة الغربية عموما؟

أولا: تعريف النموذج

النموذج على حد تعبير المسيري هو: "بنية تصورية يجردها الإنسان من كم ضخم من العلاقات والتفاصيل والحقائق والوقائع، فيستبعد بعضها باعتبارها غير دالة من وجهة نظره وسيبقى الآخر ثم يربط بينها وبين نسقها نسقا خاصة، بحيث تصبح تصوراته مترابطة ومماثلة في ترابطها للعلاقات الموجودة بين عناصر الواقع، كل هذا يعني أن الإنسان ليس حاملا، يتلقى عقله الواسع بشكل سلبي ويسجله بشكل مباشر، وإنما هو مبدع وخلاق يعيد صياغة الواقع من خلال نماذج حتى في أثناء أبسط عمليات الإدراك، ومن هنا فالإدراك هو عملية ذات تفسير".[1]

ويرى المسيري أن العقل هو المخول الأول بأن يفسر هذه النماذج، فيأخذ ما يأخذ ويقوم بتحليلها وتفسيرها، وعندما ينتهي من ذلك يقوم بربط النتائج التي توصل إليها سواء بشكل سلبي أو بدراسة معمقة لأن العملية الإدراكية تتطلب هذه الخطوات، لتكون عملية التفسير بسيطة، لأن قدرات الإنسان تفرض هذا الشيء لأنه في الحقيقة النموذج التفسيري يكون أشمل وأوسع من الواقع، وما يتبين لنا أن الإنسان يملك طاقات إدراكية متميزة خاصة بما تعلق بالتمييز بين الشيء السلبي والإيجابي وبين الذاتي والموضوعي، والنموذج الصحيح والنموذج الفاسد، وهي التجليات في النموذج التي ركز عليها واجتهد فقال: "هذا هو اجتهادي وأعتقد أنه أكثر تفسيرية".[2]

---

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز ووحدة الوجود، دار الشروق، ط1، 2002م، ص 217.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والنمـوذج المعـرفي بوجـه عـام يعرفـه المسـيري بأنـه "النمـوذج الـذي يحـاول أن يصـل إلى الصـيغ الكليـة والنهائيـة للوجـود الإنسـاني".[1] وهـو لا يعـنى بالتفاصـيل والجزئيـات قـدر عنايتـه بالكليـات والعموميـات والنمـاذج المعرفيـة، كلهـا تـدور حـول ثـلاث عناصـر: الإلـه، الطبيعـة والإنسـان، أي يمكـن أن نـرد التفاصـيل الكثـيرة لأي نظريـة أو فلسـفة إلى موقفهـا مـن هـذه القضـايا الـثلاث، فبنـاء علـى رؤيتهـا لهـذه القضايا الثلاث يمكن أن نفهم التفاصيل التي لا حصر لها.

وعلـى هـذا فـإن النمـوذج المعـرفي الإسـلامي هـو الرؤيـة المعرفيـة الكليـة الـتي يقـدمها الإسـلام للألوهية والطبيعة والكون والوجود الإنساني.

وتنبـع أهميـة إدراك النمـوذج المعـرفي لنـا أو لغيرنـا، مـن أنـه يجعلنـا علـى بينـة مـن الخطـوط العريضـة الحاكمـة، وعلـى رؤيـة كليـة جامعـة كمـا أن مـن خلالـه تسـهل المقارنـة والتحليـل، ومـن ثم يمكـن الوقـوف علـى نقـاط التمييـز والضـعف إضـافة إلى أنـه يجعلنـا ننفـذ إلى عمـق الحقـائق والأشـياء، بحيـث لا تسـتغرقنا التفاصـيل بفروعهـا المتشـعبة، يقـول المسـيري: "هنـاك نوعـان مـن التحليـل مختلفـان: التحليـل السياسـي والإقتصـادي، وهـو يكتفـي برصـد الظـاهر السياسـية والإقتصـادية ويهمـش العناصـر الأخـرى الـتي تحـدد علاقـة الإنسـان بـالكون والإلـه، النـوع الثـاني هـو التحليـل المعـرفي، فكـل خطـاب سياسـي أو اقتصـادي مهمـا كـان سـطحيا، يتأسـس علـى نمـوذج معـرفي سـواء كـان هـذا النمـوذج ظـاهرا أو كامنـا، فـإذا قلنـا إن قـوانين السـوق جـوهر حركـة المجتمـع، فإننـا نكـون قـد قمنـا بتفسـير ظـاهرة الإنسـان بشـكل اقتصـادي سياسـي، وإذا أخضـعنا هـذه العبـارة نفسـها للبحـث لتوصـلنا إلى أن صـورة الإنسـان هنـا هـي صـورة إنسـان مـادي خاضـع لقـوانين خارجـة، وبـذلك نكـون قـد تجاوزنـا المسـتوى السياسـي والإقتصـادي وصـولا إلى رؤيـة (الله، الإنسان، الطبيعة) وهو المستوى المعرفي)"[2]

يؤكـد المسـيري في قولـه هـذا، لأن الخطابـات السياسـية والإقتصـادية لا تخـرج مـن بوتقـة النمـوذج المعـرفي، رغـم تهميشـه للعناصـر المكونـة للإنسـان فهـذه العبـارات الـتي تـدرس الإنسـان علـى مسـتوى

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج 2، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002م، ص 445.

[2] المصدر نفسه، ص 448.

الإقتصـادي والسياسـي تسـتطيع أن يتجـاوز هـذه القـوانين المفروضـة عليـه مـن خـلال الولـوج إلى رؤيـة الكون التي تتمحور حول الله، الإنسان والطبيعة، وهذا هو جوهر النموذج المعرفي.

والـدارس للنمـوذج المعـرفي في صـورته الإنسـانية الكامنـة يسـتطيع أن يطـرح مجموعـة مـن الأسـئلة تـدور حـول ثـلاث محـاور أساسـية يجمعهـا عنصـر واحـد وهـو التجـاوز، مـن علاقـة الإنسـان بالطبيعـة، لأن الإنسـان جـزء لا يتجـزأ مـن الطبيعـة ويتسـاءل الباحـث: يتميـز الإنسـان بأبعـاد أخـرى لا تخضـع لعـالم الطبيعـة (الواحديـة في مقابـل الثنائيـة)، أم أن وجـوده طبيعـي مـادي محـض؟ أيعتـبر الإنسـان متجـاوزا للطبيعـة، أم أنهـا سـابقة عليـه؟، فالهـدف مـن الوجـود مـن خـلال السـؤال، هـل هنـاك هـدف مـن وجـود الإنسـان في الكـون؟ وكـذلك المشـكلة المعياريـة، هـل هنـاك معياريـة أساسـا؟، كـل هـذه التسـاؤلات تطـرح في نسـق واحـد وهـو النمـوذج المعـرفي، وقـد عـرج المسـيري علـى أهميـة اسـتخدام هـذه النمـاذج في قولـه: "أمـر حتمـي لـلإدراك ولإجـراء أي بحـث"[1]، هـذه الجملـة تحمـل ملاحظتـين مهمتـين، الأولى اسـتخدام النمـاذج أمر حتمي، وفي نفس الوقت يجعل حتمية استخدامه خارج إطار البحث والباحثين.

وفي هـذا الصـدد شـبه المسـيري اسـتخدام النمـاذج بالقواعـد والنحـو والرياضـيات بقولـه: "شـبه اسـتخدام النمـاذج باسـتخدام قواعـد النحـو وقواعـد الهندسـة، فحينمـا يتحـدث الإنسـان لغتـه وحينمـا يبـني بيتـا (في المجتمعـات التقليديـة خاصـة) فإنـه يسـتخدم قواعـد النحـو والهندسـة دون معرفـة سـابقة أو واعيـة بهـا".[2] ويتحـدث المسـيري في دور النمـوذج المعـرفي في بنـاء القواعـد الخاصـة فيمـا يتعلـق بـالنحو والهندسـة، والاستخدام الحسن للنماذج.

فـالنموذج الـذي يتحـدث عنـه المسـيري، هـو نمـوذج موحـد بعيـدا عـن النمـوذج المعـرفي الغـربي، يبـدأ بوحـدة الوجـود وهـي الخلاصـة نفسـها الـتي أكـدها الباحـث الأمريكـي :كـرين برينتـون" بعـد تعقبـه الحركـة العقلانيـة، فـالنموذج المعـرفي الغـربي عنـد المسـيري يبـدأ بوحـدة الوجـود، أي أن المبـدأ الواحـد المـنظم للكـون (الإنسـان والطبيعـة) لـيس مفارقـا ولا متجـاوزا لـه، وإنمـا كـان مـن وحـال فيـه، هـذه الفكـرة تأخـذ شـكل

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، المصدر السابق، 448.

[2] عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2006م، ص 387.

المثالية تتحقق في الزمان والفارق بين حلقتها، أو المؤشر الذي يساعدنا على تمييز حلقة من المتتالية عن حلقة أخرى هو، موضع حلول المركز وحسب موضع حلول المركز يمكن أن نقدم المتتالية.[1]

2/ نقد النموذج المعرفي الغربي والحداثي

لو نظرنا إلى الدراسات التي قام بها عبد الوهاب المسيري في نقده للحداثة الغربية، لوجدنا أنه يعتمد على الكتابات النقدية لماكس فيبر، فتظهر مفاهيم الترشيد ونزع القداسة عن العالم، والنظرة الإجتماعية للمعرفة وعلى مدرسة فرانكفورت، فتظهر مفاهيم تشيؤ الإنسان، والأداتية والإنسان ذو البعد الواحد...الخ.

فإن المتطلع في مؤلفات المسيري خاصة كتاباته "دراسات معرفية في الحداثة الغربية" و" الحداثة وما بعد الحداثة" و"الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان" وبعض مقالاته مثل: الحداثة والإله الحقي، يرى بكل وضوح تنوع المناهج التي استخدمها المسيري في نقده للحداثة الغربية، وهذا يؤدي إلى تنوع النتائج والأدوات التحليلية، ومن أهم هذه الأدوات التي تبناها المسيري في دراسته للحضارة الغربية هي:

أ/ المنهج التفكيكي

هو أحد المنهج المستخدمة في نقد الحداثة الغربية، وبعض اتجاهات ما بعد البنيوية، وهو منهج يهدف إلى بيان عدم تماسك بعض الآراء والأفكار[2]، حيث يعتمد على المنهج التحليلي للنصوص ومراجعة المفاهيم الواردة وكذلك الكشف عن التناقضات الداخلية لمصطلح الحداثة.

ب/ المنهج التاريخي التراكمي

اعتمد المسيري على هذا المنهج في نقده للحداثة الغربية، من خلال دراسته المتعمقة للظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية والتاريخية، التي ساهمت بشكل كبير في ظهور الحداثة الغربية، وقام المسيري بمراعاة الدقة والعنصر الزمني، في دراسته ونقده للحضارة الغربية.

---

[1] أحمد مرزاق: النموذج المعرفي، مرجع سابق، ص 8.

[2] محمد مرسي شعبان: ملاحظات حول التفكيكية، مجلة الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، العدد 2، 2003م، ص 5 -9.

ج/ المنهج التحليلي التفسيري

يعني تفكيك الشيء إلى أجزاء ومكونات أولية بسيطة بين هذه الأجزاء، وهذا أهم منهج ركز عليه عبد الوهاب المسيري إذ يقول: "عندما يتجه الإنسان إلى ظاهرة ما مستهدفا تفسيرها فإنه يقوم بعدة خطوات حتى يصل إلى هذا التفسير، وحينما يرى الإنسان ظاهرة ما فعليه التعامل مع عدد كبير من العلاقات والتفاصيل والحقائق والواقع، وعندئذ يقوم العقل باستبعاد بعضها، لأنه يعتقد أنها لا دلالة لها من وجهة نظر ... وهذا ما يشبه العلاقات بين عناصر العلاقات الموجودة بين عناصر الواقع"[1]، يعبر الميسري في هذا القول أن المنهج التفسيري هو من اختصاص العقل التوليدي، الذي يدرك العملية الإدراكية للواقع، وتفهم هذه الظاهرة التي تمر بمرحلتين هما مرحلة الوصف، التي تفكك الظاهرة وتركب المفاهيم ويكشف عن أهم المتغيرات التي حدثت، وهذه المفاهيم بدورها تربط بينها وفق رؤية نقدية موضوعية.

وفي الأخير نستنتج أن المسيري استطاع أن يقدم لنا نموذج معرفي مبني على التحليل والتوليد الذي اعتمد عليه في نقد الحضارة الغربية، مع تأسيس المعارف والمصطلحات والدفاع عن الحضارة الإسلامية، ببناء نموذج معرفي موحد قائم على القيم الإيمانية والروحية بعيدا عن المادية الغربية.

نتائج الفصل الأول:

على ضوء ما جاء في هذا الفصل نخلص إلى مجموعة نتائج:

ـ استقى المسيري رؤيته الفكرية والمنهجية من منابع عربية، تمثلت في الظروف التي مرّ بها العالم الإسلامي إضافة إلى تأثره بكتب "جمال حمدان" وأبحاثه المتعمقة في الكتاب والسنة، والذي كان له الأثر البالغ في تحديد مفاهيمه الفلسفية.

ـ استكمل المسيري خريطته الفكرية بتأثره بأعلام الفكر الغربي على غرار الأدب الإنجليزي، والفلسفة الماركسية المادية وتفكيكية جاك دريدا، والعقلانية الكانطية والديكارتية، كما شهدت رحلته الفكرية العديد من التقلبات خاصة عندما كان شيوعيا ماديا قبل عودته إلى الإسلام.

---

[1] عبد الوهاب المسيري: دفاع عن الإنسان دراسة نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة، دار الشروق، مصر، ط2، 2003م، ص 475.

ـ اتخاذ المسيري فكرة النموذج التي اكتسبها عن طريق قراءته التحليلية والنقدية للفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، واستعمل هذه المناهج في نقد الحداثة الغربية المادية والدفاع عن الإنسان كمنظور آخر ضد الحضارة الغربية، وعالج المسيري إشكالية أخرى تتمثل في الحلولية والواحدية المادية وثنائية الخالق والمخلوق، وهذا ما سنعرفه من خلال الفصل الثاني من هذا البحث.

الفصل الثاني :

النموذج الحلولي وأضداده

المباحث :

- التوحيد ومبادئه
- مبدأ الحلولية
- الفرق بين الحلولية والتوحيدية
- التجاوز والتعالي

الفصل الثاني: النموذج الحلولي وأضداده

تمهيـد:

في ظـل التطـور الـذي تشـهده الحضـارة الغربيـة خاصـة الرؤيـة الماديـة الـتي تعتمـد علـى ثـلاث أسـس: الإنسـان الإلـه والطبيعـة، ومكونـة مـن جـوهر واحـد مكتـف بذاتـه، والـذي لا تتخللـه أي ثغـرات أو مسـافة بـين الخـالق والمخلـوق، تجعـل الإنسـان خاضـع إلي القـوانين الطبيعـة وهـذا مـا حللـه المسـيري في دراسـته للماديـة الغربيـة ونقـده لهـا، وهـو المنظـور التوحيـدي الـذي يقـوم علـى إبـراز العلاقـة بـين الخـالق والمخلـوق وتجـاوز الرؤيـة الماديـة، وإعـادة الاعتبـار للإنسـان، وفي ظـل هـذا نتسـاءل مـا هـو التوحيـد؟ ومـا هـي أهـم المبـادئ الـتي يقـوم عليهـا؟ مـاهي الحلوليـة ومـا هـي مبادئهـا؟ ومـا هـي أهـم الفروقـات بـين الـرؤيتين؟ وكيـف تجاوز المسيري هذه الرؤية بمنظورها التوحيدي؟

المبحث الأول: التوحيد ومبادئه

يعتبر مصطلح التوحيد من أهم المبادئ الأساسية التي قامت عليها الرسالات السماوية لما لها من أهمية في عقيدتهم وتقديسهم للإله بتوحيد جميع صفاته، وقد أخذ هذا المفهوم حيزا من الدراسات المعرفية خاصة من الناحية الدينية، ومن بينهم المسيري فقد اعتمد على هذه الرؤية في مشروعه لبناء الحضارة الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة، وهذا انطلاقا من مفاهيم التوحيد التي تقوم على مبدأ التجاوز، وفي ظل هذه الدراسة نتساءل ما هو التوحيد؟ وما هي أهم المبادئ التي صورها لنا المسيري لهذا المفهوم؟

1/ تعريف التوحيد:

إن التوحيد كلمة لها عدة معاني فمن المنظور الإسلامي يعرفها محمد بن صالح العثيمين لغة: مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحد وهذا لا يتحقق إلا بالنفي وإثبات نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له، أي أن ينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل"[1]

أما **التعريف الاصطلاحي**: إفراد الله – سبحانه – بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. وبالتتبع والاستقراء لنصوص الوحي قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وعرفه أهل العلم: بأنه إفراد الله بأفعاله، أي أننا نعتقد أن الله منفرد بالخلق والملك والتدبير. قال تعالى {الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل }[2].

الثاني: توحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال العباد. أي أنّ العباد يجب عليهم أن يتوجهوا بأفعالهم إلى الله سبحانه فلا يشركون معه أحداً. قال تعالى: {**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**}[3]

---

[1] محمد صالح العثيمين: مجموعة فتاوي رسائل التحقق، ج1، باب التوحيد، ص 60

[2] سورة الزمر، الآية 60

[3] سورة الكهف، الآية 110

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولكن على حسب قوله تعالى {**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**}[1]

ولهذه الأقسام تفصيلا يرجع إليه في كتب التوحيد. وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل2 ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه وتعالى قال الله تعالى: {**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**}3

2/ التوحيد في النظم الإسلامية:

يعتبر التوحيد النواة الأساسية في الإسلام لما له من مكانة هامة لهذه الرسالة السماوية، وذلك في إبراز ثنائية الخالق والمخلوق وتقديس الإله، ولعل هذا ما جعل المسيري يغوص في حقل التوحيد الإسلامي خاصة بعد عودته من المادية الماركسية إلى رحاب الإيمان، (فيقول): "إن كل هذه العناصر توسع من آفاق إيماننا وتجعل للآخر مكانا في عالمنا برغم إيماننا بالإسلام، أو ربما سببه إذ أن الإسلام من أكثر العقائد تسامحا وقبولا للآخر، وبرغم أنه يحدد الحدود ويضع الفواصل"4، ويتضح من خلال هذا القول أن الإسلام هو دين التوحيد في إفراد الله تعالى بجميع الصفات والخلق للكون، فالإسلام من أكثر الديانات التي تعترف بالآخر وتعطي للتسامح والتعارف قيمة أساسية بين الشعوب، رغم وجود كل الحدود الموجودة والفوارق الجنسية والمادية، إذ أنهم ينتمون إلى أصل واحد في توحيد الله، فمهما بلغ الإنسان من عبادة وتوحد لله إلا أن المسافة تبق بينه وبين الخالق لأن الإنسان رغم علمه يبق نسبي لهذا استشهد المسيري بهذه الآية التي تؤسس لمفهوم النسبية، يقول تعالى: {**وما أوتيتم من العلم إلا**

---

[1] سورة الشورى، الآية 11.

[2] محمد صالح العثيمين: القول المفيد على كتاب توحيد، مج 1، دار ابن لجوزي، دط، ص 10

[3] سورة الأنبياء، الآية 10

[4] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، مصدر سابق، ص 238.

قليلا}[1]وقوله تعالى: {**فوق كل ذي علم عليم**}[2]، وما يتبادر إلى أذهاننا أن الإنسان يحمل في هذا الكون جزء من الحقيقة.

كما عرج المسيري إلى شرح للتوحيد خاصة في العلاقة بين الإله والإنسان وهذا ما يظهر في قوله: "هو الإيمان بأن المبدأ الواحد مصدر تماسك العالم ووحدته وحركته وغايته، ومرجعيته النهائية وركيزته الأساسية ومطلقه الذي لا يرد إلى شيء خارجه هو الإله"3، فالتوحيد مصدره الإيمان وركيزته الأساسية إفراد الله تعالى بالخلق الذي لا يشاركه (فيه)أحد في هذا الكون، وما على الإنسان سوى طاعته لأن هناك مسافة بين الخالق والمخلوق لا يمكن تجاوزها، وهذا الحديث يقودنا إلى مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تتركز عليها المنظومة التوحيدية لإيمانها بثنائية الخالق والمخلوق ومبدأ التجاوز وسنذكرها كما يلي:

3/ ثنائية الخالق والمخلوق:

يعتبر مبدأ ثنائية الخالق والمخلوق أحد ركائز التوحيدية، ويعقب المسيري على هذا الموضوع بقوله: "ونحن نذهب إلى أن الثنائية هي ثنائية الخالق والمخلوق، والتي تفترض أسبقية الخالق على كل ما هو مخلوق، وأن الخالق لا يمكن أن يرد إلى مخلوقاته أو يلتحم بها أو يذوب فيها"4، ويتضح من خلال هذا القول أسبقية الخالق على مخلوقاته فهو الذي خلقهم واستخلفهم في الأرض، ولم يترك هذا العالم بل جعله تحت رعايته، فالمخلوقات لا تستطيع أن تنصهر في الخالق لما له من قداسة ومسافة بين هذه الثنائية، فالأطر التوحيدية تؤكد أن الإله هو مركز الكون، "الإله مفارق لهذا العالم لكنه لم يهجره"، كما يظهر لنا دور هذه الثنائية في إبراز ثنائيات أخرى مثل ثنائية الأرض والسماء والإله والإنسان، وهذا عكس الأطر الحلولية التي تؤمن بالجوهر الواحد للكون من خلال جعل الإله والإنسان والطبيعة شيء واحد.

---

[1] سورة الاسراء، الآية 85.

[2] سورة يوسف، الآية 76.

[3] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ص 237.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4/ الإنسان المشترك:

يعتبر الإنسان أحد الأركان الأساسية في ثنائية الخالق والمخلوق، التي لا يمكن الاستغناء عنها، لأنها تشكل جوهر الإنسان إذ "يتسم الوجود الإنساني في تصورنا بثنائية أساسية لا يمكن إلغاؤها هي صدى للثنائيات الحاكمة الكبرى، ثنائية الخالق والمخلوق وهي ثنائية الجوانب الطبيعية المادية في الإنسان مقابل الجوانب غير المادية أي الروحية أو الثقافية أو المعنوية، فالإله في تصورنا خلق العالم الإنسان والطبيعة ولم يحل فيه، ونتج عن هذا وجود مسافة بين الخالق ومخلوقاته، هذه المسافة هي في واقع الأمر الحيز الإنساني الذي يتحرك فيه الإنسان حر مسؤولا ولكن داخله حدود"1، يتضح لنا من خلال هذا القول قيمة الإنسان في المنظومات التوحيدية , لأنه يعبر عن حقيقة وجود الإله الذي جعل له حيز يتحرك فيه ولكن في حدود لا يستطيع تجاوزها، لأن الإنسان ليس هو مركز الطبيعة والكون فالإله هوا لخالق والمركز لذلك جعل الإنسان خليفة في الأرض ، فمهما بلغ من تعبد فيجب أن يحافظ على المسافة الموجودة بينه وبين الإله، وهذا على عكس الأطر المادية التي تقضي على القيم الإنسانية وتجعله داخل حيز الطبيعة خاضع لقوانينها التي لا يمكن تجاوزها، وفي ظل هذا المنظور المادي نستنتج بأن الإنسان التوحيدي هو القادر على تجاوز قيود الطبيعة والتعبير عن ذاته وإنسانيته، وهذا بفضل العقل الذي منحه إياه الإله، وبهذا فهو يستطيع إعادة صياغة نفسه وبيئته حسب رؤيته2.

والإنسان التوحيدي هو الذي يحافظ على القيم الأخلاقية والاجتماعية الموروثة من جيل إلى جيل، ومنها المحافظة على الرموز المقدسة واحترامها لما لديها من أهمية دينية وأخلاقية. كما يعبر المسيري عن(الإنسانية المشتركة فيقول: "والإيمان بالإنسانية المشتركة يجعل استخدام النماذج المركبة مسألة أساسية بل حتمية في دراسة البشرية ويجعل الرصد الموضوعي الراني أو استخدام النماذج الاختزالية أمر غير كاف"3، وفي ظل هذه الدراسة للإنسان المشترك المتجاوز للمادة استعمل المسيري

---

[1] عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، ج1، ص 69.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

النمـاذج المركبـة لدراسـة البشـرية وهـذا عـن طريـق فهـم الإنسـان ككـائن مسـتقل أولا، ثم القبـول بثنائيـة الإنسان والطبيعة، وهذا ما يسهل لنا استخدام نماذج مركبة.

5/ الثنائية الفضفاضة:

تعتـبر هـذه الثنائيـة أحـد المبـادئ المتجـاوزة للمنظـور المـادي، والأكثـر اعترافـا بثنائيـة الخـالق والمخلـوق، وفي هـذا يقـول المسـيري: "تعـني خـروج الإنسـان مـن نطـاق المرجعيـة الكامنـة الماديـة ودخولـه في نطـاق المرجعيـة المتجـاوزة ممـا يعـني ظهـور ثنائيـة أساسـية لا يمكـن محوهـا، هـي ثنائيـة الخـالق والمخلـوق هـذه الثنائيـة تعـني زوال أيـة واحديـة ذاتيـة كانـت أم موضـوعية، لأن في إطـار المرجعيـة المتجـاوزة لا يمكـن للإنسـان أن يسـقط في الجنينيـة"[1]، يتضـح لنـا دور هـذه الثنائيـة الفضفاضـة في إخـراج الإنسـان مـن الرؤيـة وتجـاوز كـل القيـود الطبيعيـة، حيـث تتمركـز ثنائيـة الخـالق والمخلـوق في إنتـاج ثنائيـات أخـرى مثـل ثنائيـة الإنسـان والطبيعـة، وبـذلك الإلـه ميـز الإنسـان عـن بـاقي الكائنـات الحيـة، وجعـل منـه إنسـان متميـز عـن الطبيعـة الـتي يسـتطيع أن يتجاوزهـا، وبـذلك يتأكـد لنـا أسـبقية الإنسـان عـن الطبيعـة ولكـن هـذه الأسـبقية لا تعني أنه لا يعتمد على الطبيعة ولا يتفاعل معها.

ومـن ناحيـة أخـرى يعـبر المسـيري عـن إنسـانية الإنسـان) ,ويتجـاوز كـل القـوانين الـتي فرضـتها الطبيعـة، ويسـتمد ذلـك مـن التعبـير علـى ذاتـه لمجموعـة مـن النشـاطات الإنسـانية والحضـارية، فالإنسـان يملـك إرادة قويـة تجذبـه رغـم كـل الحـدود الـتي تواجهـه منهـا الطبيعيـة والتاريخيـة، وهـو قـادر علـى اسـتخدام عقلـه فـيرى مـا هـو صـالح ومـا هـو طـالح، ويبـني المقـولات في محاولـة منـه لإثبـات قدراتـه، فينجح تـارة ويخفـق تـارة أخـرى، لأن الإنسـان الوحيـد القـادر علـى تطـوير المنظومـات الأخلاقيـة والرمزيـة لأنـه يملـك خاصـية قويـة وهـي الـذاكرة، كمـا أكـد المسـيري علـى ضـرورة اسـتخدام النمـاذج المركبـة لتجـاوز الماديـة بحيـث لا يستطيع أن ينكر التجاوز أو المسافة أو الثغرات.

كمـا تظهـر لنـا في الأفـق النزعـة الإنسـانية الـتي تحتـوي قبسـا إلهـي، وتأكيـده علـى المسـافة (الطبيعـة والمـادة) أي أن الإنسـان لـيس جـزء لا يتجـزأ مـن الطبيعـة والكـون، بـل هـو جـزء لا يتجـزأ منهـا ،وهـو يعيش دائما داخل ما يسمى بالحيز الإنساني. كما يظهر لنا مصطلح آخر في المنظومة التوحيدية وهو:

[1] المصدر السابق، ص 87.

6/ المسافة:

إن الحديث عن المسافة يقودنا إلى أحد أهم المنظومات في الأطر التوحيدية ,كونها ترتبط بعدة معاني مثل "الثغرة" و"المساحة والهوة"[1]، وهذه المنظومة ترى أن هناك مسافة بين الخالق والمخلوق لذلك دائما تحافظ على الخط الفاصل بينهما له حدود لا يمكن تجاوزها فرغم درجة وقوة إيمان المخلوق بالخالق وتقربه إليه بشتى العبادات فهو يبتعد عن الخالق، فتصبح ثغرة، وينسى بذلك خصائصه وأصله الرباني الذين يتميز بها عن سائر الكائنات الحية، ولكن إذا حاول الإنسان أن يتذكر أصوله الربانية فإن المسافة تتحول إلى تفاعل ويصبح المخلوق هو المركز الإلهي بسبب تفاعله الإلهي، فتصبح العلاقة بين الخالق والمخلوق علاقة اتصال وانفصال، ومسافة بين الخالق والمخلوق دائما. وذهب المسيري في تعريفه لمصطلح المسافة بأنها: "البعد وهي أبقاء المساحة وقد تستخدم المسافة أو الشهر.

والمسافة مرتبطة تمام الارتباط بفكرة الحدود، والحد في اللغة بمعنى المنع والفعل بين شيئين آو كل شيء وهو عملية الحد وحدود الله تعالى هي الأشياء التي حرمها وحللها..."[2]، ويقصد المسيري هنا أن أهمية المسافة في المنظومة التوحيدية ودورها في إثبات وجود الله المتعالي عن كامل مخلوقاته، والحدود التي يجب أن تكون موجودة دائما بين الإله والإنسان، على عكس المنظومات الأخرى التي تضيق هذه الحدود ولا تعطي لها أي أبعاد.

ولكن في المنظومة الحلولية الصهيونية ترى عكس ذلك حيث يحاول الخلوق أن يضيق المسافة بينه وبين الخالق تدريجيا إلى أن يصل الإنسان إلى الإله فيلتصق ويتوحد معه وتبقي على الثنائية والمسافة التي تعتبر أبرز سمات المنظومات التوحيدية فهو جزء من الإنسان العابد وجزء من هذا الكون.

7/ القداسة:

يعتبر هذا المصطلح أحد أهم السمات البارزة في المنظومات التوحيدية لما لها من أهمية بالغة في الممارسات التي يقوم بها الإنسان، للحفاظ على هذه القداسة وتحريم أي تجاوز، وقد عبر المسيري على

[1] عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود والصهيونية، المصدر السابق، ص 58.

[2] المصدر نفسه، ص 58.

ذلـك بقولـه: "الشـيء يـتم فعلـه عمـا حولـه ويحـاط بمجموعـة مـن المحرمـات الطقوسـية، حيـث لا يقـترب الوجـود العـادي مـن الشـيء المقـدس إذ قـام بطقـوس تمهيديـة ونظريـة توصـله للاتصـال بـه، وهـذا يعـود إن الشـيء المقـدس يشـير إلى مبـدأ الواحـد مصـدر التماسـك والوحـدة والشـيء المقـدس في المنظومـات التوحيديـة يكـون مقدسـا بـالمعنى المجـازي رمـزا عليـه لـيس إلا"1، يقصـد المسـيري مـن هـذا القـول أن الـنظم التوحيديـة تؤكـد أن الأشـياء المقدسـة الـتي لا يمكـن أن نتعـالى عليهـا ونتجاوزهـا أو يجـترأ علـى التعـدي عليهـا لأن الشـيء المتماسـك والمرصـوص والموحـد، وهنـا تقـر المنظومـة التوحيديـة الإسـلامية أن الله هـو خـالق هـذا الكـون وهـو المركـز الأساسـي لـه، فالألوهيـة لله وحـده، ولا يتألـه أي إنسـان لأن الله هـو سـيد الكـون لا يشـارك في حكمـه أحـد، يقـول الله تعـالى: {**هـل مـن خـالق غيـر الله يـرزقكم مـن السـماء والأرض لا إلـه إلا هو**}2 ويقول أيضا: {**أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون**} 3

وهنـا يؤكـد الله والموحـدين إفـراد الله بـالخلق ومـا علـى الإنسـان إلا طاعـة الخـالق في الحـدود الـتي وضـعها لـه، علـى عكـس المنظومـات الماديـة الـتي تؤلـه الإنسـان تـارة ، ولعـل المسـيري في تصـوره للتوحيـد قريـب مـن هـذا الطـرح، إذ أن "الإيمـان بالمبـدأ الواحـد، مصـدره تماسـك العـالم ووحدتـه وحركتـه ومرجعيتـه النهائيـة وركيزتـه الأساسـية ومطلقـه الـذي لا يـرد إلى شـيء خارجـه هـو الإلـه خـالق الطبيعـة والتـاريخ، وهـو خـالق البشـر الـذي يحـركهم ويمـنحهم المعـنى ويـزودهم بالغايـة، ولكنـه مفـارق لهـم لا يحـل فـيهم أو في أي مخلوقاتـه ولا يتوحـد، ومـا يعـني أن الـنظم التوحيديـة تولـد ثنائيـة أساسـية الخـالق والمخلـوق الـتي تترددهـا في الكـون، وهـذا يعـني أن العقائـد التوحيديـة لا تسـقط في الوحدانيـة. وتجـدر الإشـارة هنـا أن المركـز الواحـد يشـار إليـه في الخطـاب الفلسـفي الغـربي بـأن اللوغـوس بالإنجليزيـة لوجسـتيك"4، ويقصـد المسـيري أن المنظومـة التوحيديـة ككـل تؤكـد أن الخـالق هـو المصـدر الأساسـي لهـذا الكـون، وهـو الـذي يرعـاه ولكـن لا يحـل فيـه فقـد خلـق سـبحانه وتعـالى الإنسـان ومنحـه الاسـتخلاف في الأرض وحملـه الأمانـة فـالله هنـا

---

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج2، دار الشروق، القاهرة، ص 548.

[2] سورة فاطر، الآية 3

[3] سورة النحل، الآية 17

[4] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، مصدر سابق، ص237.

منفصل عن مخلوقاته وبذلك توجد مسافة بين الخالق والمخلوق وهذه الثنائية هي المركز الأساسي والمرجعية النهائية.

ولو رجعنا إلى النسق الإسلامي في المنظومة التوحيدية الذي يتجسد في مفهوم المسافة الذي يؤكد وجود علاقة اتصال وانفصال بين الخالق والمخلوق، لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء لأننا لا نستطيع أن ندركه بحواسنا فهو عنصر مفارق للإنسان، لكنه يعني أنه دائما قريب من عباده ولكن لا يتخلى عنهم أو يلتحم معهم وحضور الإله لا يتجسد بشكل مادي كما أنه لا يستند إلى قرائن مادية مثل الطبيعة، فيها مقدمات إلى نتائج وهذه النتائج لا تكون معروفة دائما وبشكل مسبق، وبذلك النتائج التي توصل إليها الإنسان لا تكون غالبا نهائية ومنه فالإنسان رغم معرفته الكبيرة والواسعة لا يستطيع معرفة الكون ومعرفته ليست كاملة وهنا يدخل إلى الشبكة الصلبة، ولذلك فالإنسان يقنع بوجود شيء يتحكم في هذا الكون وإن توازن معه.

وفي الأخير نخلص إلى أن المسيري قدم لنا مفاهيم أخرى للمنظومة التوحيدية التي تتركز على ثلاث مبادئ أساسية لا ينكرها أحد وهي: "التجاوز والمسافة وثنائية الخالق والمخلوق"[1]، وأهم السمات الأساسية التي تتمحور حولها هذه المفاهيم أنها أعادت الهيبة للإنسان كونه تجاوز فيها الطبيعة المادية وأثبت القداسة الإلهية الذي يعتبر أحد الرموز الأساسية في المنظومات التوحيدية، وأثبت المسيري أن المنظومة التوحيدية الإسلامية هي التي تعترف بوجود علاقة اتصال وانفصال دائمين بين الخالق والمخلوق، ورغم الإيمان القوي للمخلوق فهناك حد فاصل بينهما. ولعل الحلولية تعكس مجرى هذا الكلام بنظام الوحدانية وإبقائها على المسافة والثنائية وهو ما سوف نتعرف عليه في المبحث الثاني.

[1] المصدر السابق، ص 237.

المبحث الثاني: مبدأ الحلولية

إن الـدارس اليـوم للفكـر الغـربي يلحـظ بـأن الواقـع المـادي اسـتولى علـى جميـع المـذاهب الفلسـفية وأصـبح جـد مـؤثر في المفـاهيم والأفكـار الفلسـفية الغربيـة المعاصـرة، وامتـدت تـأثيرات الاتجـاه المـادي إلى العـالم الإسـلامي، حيـث تسـرب منـه مصـطلح الحلوليـة علـى حـد تعبـير المسـيري الـذي عـالج هـذا المفهـوم بعـدة تعـابير في مؤلفاتـه علـى غـرار الوحدانيـة أو الحلوليـة الكمونيـة، وبهـذا تبلـور مفهـوم الحلوليـة عنـده وقـدم لنـا هـذه المفهـوم بمنظـوره الخـاص وعلـى هـذا نتسـاءل: مـا هـي الحلوليـة؟ ومـا هـي أهـم مبادئهـا والآثـار التي تحتويها؟

1/ الحلولية (تاريخيا)

إن المـتمعن في هـذا المصـطلح الغـربي المـادي ، يلحـظ أنـه مـر بعـدة مراحـل في المجتمـع الأوربي ككـل. وقبـل الشـروع في تعريـف الحلوليـة يجـب أن نضـعها في سـياقها التـاريخي، لأن كـل مصـطلح لديـه خلفيـات تاريخيـة علينـا البحـث فيهـا، فهنـاك العديـد مـن السـمات البـارزة والأساسـية الـتي سـاهمت في بلـورة الرؤيـة الحلوليـة الكمونيـة والواحديـة الماديـة، وقـد سـاعدت العوامـل الاجتماعيـة والثقافيـة والتاريخيـة الـتي بصمت على المجتمعات الغربية على هذا التبلور.

ففـي البـدايات الأولى كانـت غالبيـة الإمبراطوريـات الكـبرى تضـم عـدّة شـعوب وديانـات، وهـذا مـا أدى إلى غيـاب التجـانس والإحسـاس بوجـود الآخـر. علـى عكـس مـا كـان يجـري داخـل أنظمـة المـدن اليونانيـة ذات الطـابع المتجـانس. ومـن المؤكـد أن الإرهاصـات الأولى للحضـارة الغربيـة كانـت في المـدن اليونانيـة مـرورا بروما، وقـد ظلـت المرجعيـة النهائيـة للغـرب هـي المدينـة حيـث قـال بهـذا الصـدد "مـارتن هيـدجر" "إن الانطولوجيـا الغربيـة تضـرب جـذورها في المدينـة"[1]، بمعـنى أن الفكـر الغـربي والأوربي خصوصـا يسـتوطن في المـدن متـأثرا باليونـان أكثـر، وفهـم فلسـفة أرسـطو وأفلاطـون لا يمـر سـوى بمعرفـة تجربتهم في المدينة.

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج1، ص 195.

كما ساهم الوضع الغربي الذي جعل الإله كائنا ماديا أو شبه مادي ، على عكس ما نراه في الحضارات الشرقية القديمة بداية من الأشورية والبابلية حيث أن الآلهة كانت تتسم بقدرة تجاوز، يقول المسيري في هذا: "إذا كان يعني ضم آلهتنا إلى مجتمع الآلهة، ثم يصعد إلى دولة المنتقرة إلى درجة أعلى حتى يصل إلى درجة من العالمية والتجاوز"[1]، ويقصد المسيري بقوله هذا أن الفكر الشرقي الذكان يتميز عن غيره من الوثنية، بتقديس الإله وجعله مركز مهما حيث يعبر الإله عن قدرة التجاوز والتعالي، لأن الفرد الشرقي كان يقدسه ويجعله سندا مهما في بناء الدولة التي ترمز إلى نوع من التماسك والقوة.

إذا كان أبرز ما يميز الواحدية الكمونية هي الوثنية الغربية اليونانية والرومانية، حيث كان الإله والإنسان لا ينفصلان عن الطبيعة الكونية ولعل التفسيرات البدائية المادية التي تحمل طابعا ماديا تفسيرات ساذجة، وهذا ما تبناه الفكر الغربي من المادية بداية من الأيونيين المتطرفين والتي اكتشفها أرسطو الذي حاول أن يفسر العالم بمقولة واحدة وهو المبدأ الذري (البسوس) ، حيث يرى بأنه لا وجود لحركة الذرات في فراغ كما ذهب إلى أن الروح نفسها تتكون من ذرات رقيقة وملساء، لكن الفلسفة اليونانية تجاوزت هذه الفكرة في فكر أرسطو وأفلاطون. وعادت هذه الرؤية مرة أخرى إلى الفلسفة الرواقية التي دامت لعدة قرون في الفكر الغربي. والأفلاطونية المحدثة التي كانت تتسم بفكرة الواحدية فهي لا تختلف في واحديتها وكمونيتها، خاصة الخطاب الفلسفي. واهتم الخطاب إلى غاية عصر النهضة وبالتحديد عند "سبينوزا" حين قال: "الإله الأحرى بالطبيعة"[2]، حيث حاول سبينوزا في مقولاته الفلسفية مزج المادة والروح والعالم، وهي عبارة عن عالم آخر وهو الطبيعة وبذلك أعلن سبينوزا عن تكريسه للرؤية المادية والروحية فعلا وانتماء. واستمر مصطلح الحلولية البدائية إلى العصر الوسيط الذي لم يختلف عن سابقه واستمر على شكل عقائد ذات طابع حلولي متطرف حيث كان تارة يتغنى بالكون وتارة أخرى بإنكاره.

ومع حلول ما يسمى بالعهد القديم الذي يتصف بالحلولية أي أن الإله يحل في الشعب ويحل فيه وحده، وهنا تكون علاقة قوية جدا ــ تكون جنسية ــ ولا توجد أي مسافة بين الخالق والمخلوق،

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، المصدر السابق، ص 195

[2] المصدر نفسه، ص 199.

وتظهر جليا هذه الطقوس في الشعب الإسرائيلي خاصة في مرحلة التطهير حيث إن إسرائيل هي مركز الكون، لأن غالبية الأنبياء بعثوا برسالة التوحيد وإلى الشعب الإسرائيلي خاصة "عاموس وأعياء" الذين بينوا أن إله العالمين المتجاوز للدنيا والتاريخ ووضعوا مسافة بين الإله ومخلوق هذه الفكرة ليست موضع المطلقية والقداسة خاصة ما يتعلق بالخير والشر.

ولم تعمر رسالة الانبياء طويلا لأن اليهودية سقطت في الحلولية خاصة في كتب "رؤى ابو كاليبس" وكتب "مشبوبه إلى (ابو كريفا)1، حيث عاد المركز إلى داخل النسق مع انتشار المسيحية كذلك ازدادت العودة المجازية والحلولية الواحدية، بحيث كانت الفكرة تدور بأن الإله المتجسد وحلول اللاهوت حينما ينزل الله إلى الأرض ويجسد على شكل ابن، وهذه الاشكالية أبرزت ما تناولته المسيحية حول الإله والمسيح، حيث أن موضع الحلول أصبح لبابا الذي هو المركز لأنه يمثل أحد رجال الدين وهو الآمر والناهي، لينتشر مفهوم الحلولية في الفكر الغربي بشكل كبير جدا وملحوظ حيث طغى الجانب المادي والطبيعي على المجتمعات وقضى على الروح والقيم الإنسانية وأصبح الإيمان غير موجود وخاضع لقوانين الطبيعة.

2/ تعريف الحلولية وأهم مبادئها:

يعتبر هذا المصطلح من المصطلحات السائدة في الفكر الغربي، ويعبر عبد الوهاب المسيري عليها بعدة عبارات لفظية متقاربة الدلالة، فتارة يسميها "الواحدية المادية" وتارة "العالم الواحدي الأملس"، وتارة أخرى "الرؤية المادية الواحدية" وفي مرة أخرى و "الحلولية الكمونية"، وهكذا دواليك والاعتقاد السائد أن الحلولية من المنظور الغربي تحاول أن تفرض (أمر) أن الإله حل بالكون (وبالتالي فالله) والإنسان أصبحا واحدا بمعنى أن الحلولية الكونية تنطلق من ثلاث مبادئ أساسية هي الإنسان والإله والطبيعة، كلهم ينصبون في جوهر واحد يسمى "الواحدية". والتي تقضي بأن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة، ويصبح العالم ماديا ككل.

وبناء على هذا يعرف المسيري الحلولية بقوله: "... هي نقيض النظم التوحيدية، نجد أن مركز اللوجوس (الخالق) في النظم الحلولية يحل في العالم فيمتزج الخالق بالمخلوق والاله بالعالم، والحلولية

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، المصدر السابق، ص200

تهبط بالإله إلى الإنسان فتؤنِّس الإله وتؤله الإنسان ولكنها تهبط بعد ذلك بكليهما إلى الطبيعة المادة فتجعلها مستويين فيها فيتحولان إلى مادة محض، وبالتالي يختفيان، فسيقف هذا الإنسان المتأله هو عالم الطبيعة المادة الدنيا ويصبح هو مصدر القداسة، وعادة ما يصاحب هذا الظهور تفسيرات الحرفية المادية وإسقاط المجاز وأية ثنائية، مثل ثنائية الخالق والمخلوق والسماء والأرض والروح والجسد والحلولية ثمرة القفاء على الثنائيات والتجاوز ثمرة اختزال المساحة التي تفعل مثل الخالق والمخلوق وبين الإنسان والطبيعة... بحيث تصبح رؤية الواقع في نهاية الأمر واحدية لا تختلف كثيرا في بنيتها عن التفسيرات المادية التي تنكر الثنائية والتجاوز'.

وعليه فالمنظومة الحلولية ككل هي مركز الكون في هذا العالم المتغير، بمعنى أنه أصبح ماديا أكثر فهي تنكر وجود الإله، فهو يذوب وينصهر داخل الإنسان وتصبح هناك علاقة بين الإله تكاد تكون جنسية فيصبح الإله موجودا، وتقضي على المسافة الموجودة بين الخالق والمخلوق وعلى القداسة الالهية بحيث يوازن بين المدنس والمقدس، لأن الإنسان في هذه الحالة أصبح جزء لا يتجزأ من الطبيعة تحكم فيها مجموعة من القوانين التي يستطيع تجاوزها فيصبح محكوما بها ويصبح مركزية الإنسان غير موجودة ومندثرة، ويقضي بذلك على القيم السائدة عنده ولعل ذلك يعلن ما يسمى بمبدأ الواحدانية التي تنطوي تحت مبادئ الحلولية وبذلك استطاعت القضاء على الثنائية والقضاء على جميع الدوال، فلا صوت يعلو فوق صوت الحلولية المادية على سطح الكون، وهذا ما نراه في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر.

أ/ الإنسان الطبيعي المادي:

إن الإنسان الطبيعي يعتبر أحد الرموز الأساسية في الطبيعية لأنه جزء لا يتجزأ منها، ويعرف المسيري الإنسان الطبيعي في قوله: "الإنسان الطبيعي هو الإنسان المادي أي أن الإنسان الذي يدور في إطار المرجعية الكامنة في المادة يعيش في الطبيعة المادة وعلى الطبيعة المادة، والإنسان الطبيعي المادي يعبر عن النزعة الجنية وعلى الاحتفاء الكامنة في المادة تعيش بالطبيعة المادة وعلى طبيعة المادة والإنسان الطبيعي المادي تعبير متبلور عن النزعة الجنية ولذا نجد النزعة الربانية"[1]، فالإنسان هو ذلك

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، المصدر السابق، ص 78.

الكيـان الطبيعـي والـذي يـدور في فلـك الطبيعـة الماديـة، فهـو متجـذر فيهـا بحـد ذاتهـا ويخضـع لهـا، ولا توجـد مسـافة تفصـله بينـه وبـين الطبيعـة ولا يسـتطيع أن يتجـاوز القـوانين الـتي فرضـت عليـه لأنـه محكـوم بمـا يسـمى بالصـيرورة، ومـا يتبـادر إلى الـذهن أن النزعـة الإنسـانية تحمـل في طياتهـا رؤيـة ماديـة لأنهـا تعتـبر المرجـع الأساسـي والأول في مركزيـة الكـون، ولعـل الطبيعـة الماديـة غرسـت في الإنسـان عـدم القـدرة علـى الإبـداع والتفكـير فهـو خـادم لـيس أكثـر للطبيعـة رغـم اعـتراف الكثـير مـن المفكـرين بفضـلها علـى الإنسـان وهـذه نقطة مرجعية في التفكير الإنساني والطبيعي.

ب/ الطبيعة:

إن الطبيعـة تحمـل مجموعـة مـن القـوانين الأساسـية الـتي لا يمكـن أن نتجاوزهـا لأنهـا ثابتـة، وهـي تـؤمن بمقولـة: "كـل مـادي ثابـت للإجـراء لـه غـرض وأهـداف"[1]، والطبيعـة هـي الـتي يسـتمد منهـا الإنسـان المعـايير الـتي يمشـي عليهـا لأنهـا جـزء لا يتجـزأ منهـا مـادام الإنسـان متمسـكا بهـا فهـي تنـير لـه الطريـق المسـتقيم لكـي يسـتطيع أن يصـل إلى مجموعـة مـن المعـارف الأخلاقيـة، لـذلك حـرص الكثـيرون علـى تأسـيس هـذا المفهـوم مثـل الحقيقـة والخـير والجمـال ولكـن انطلاقـا مـن منظـور طبيعـي مـادي باعتبارهـا المركـز الأساسـي مـن القـيم، فـلا وجـود للـروح فالطبيعـة هـي المبـدأ الأول والأخـير الـتي تـتحكم في حركـة الأجسـام ولا يمكننـا أن نتجـاوز هـذه الفكـرة لأننـا تحـت رحمـة الطبيعـة وقوانينهـا، وعـبر الفيلسـوف كابـاس عـن سـطحية الماديـة خاصـة في كتاباتـه الطبيعـة والمعنـوي علـى الإنسـان، وفي نفـس السـياق يبقـى الإلـه علـى مـر الفكر المادي غير مؤله لأن الطبيعة هي من تتحكم في الجميع.

ج/ القداسة:

إن القداسـة عنـد المنظومـات الحلوليـة تنتقـل بشـكل شـبه مـادي فانتقالهـا يشـبه "المـادة السـائلة أو الشـحنة"[2]، بحيـث يكـون مصـطلح القداسـة شـيء وراثـي مـن الأب إلى الابـن حيـث تتمركـز في عنصـر واحـد بكنيـة شـعب الله المختـار. وعنـدما نؤلـه العنصـر فـإن القداسـة تفقـد القـيم الأخلاقيـة الـتي كانـت هـي

[1] عبد الوهاب المسيري: فكرة حركة الاستنارة وتناقضاته، مصدر سابق، ص 17.

[2] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والشاملة، مج2، مصدر سابق، ص 458.

لبهـا ويتحلـل هـذا المفهـوم ليصـبح كـل شـيء مبـاح أي أن الأشـياء المدنسـة لا حـرج فيهـا. وبهـذا يتسـع نطـاق القداسـة ليشـمل الكـون بأكملـه فيحـل الإلـه في جميـع مخلوقاتـه بدرجـة وجـود الحلوليـة الكمونيـة، وبهـذا تختفـي كـل الحـدود والثنائيـات والخصوصـيات ويصـبح الشـيء المقـدس والمـدنس وتصـبح الأمـور المباحة لا قداسة لها و منزعها هو قمة النزعة العلمانية الشاملة.

د/ المسافة:

إن مصـطلح المسـافة في المنظومـات الحلوليـة تحـاول أن تضـيق المسـافة بـين الخـالق والمخلـوق حـتى يلتصـق الإنسـان بالإلـه ويتوحـد معـه، وبـذلك يصـبح مـا يسـمى بوحـدة الوجـود ، "وبهـذا تلغـى المسـافة وتقضـى علـى الثنائيـات ويسـود في العـالم مبـدأ الواحديـة الماديـة حيـث يفقـد الإنسـان مركزيتـه الـتي تميـزه عـن بـاقي الكائنـات الحيـة"[1] بـذلك تفقـد الحـدود بـين الخـير والشـر وبـين الـدال والمـدلول ويصـبح الإلـه والإنسان شيء واحد فهذا العالم يمشي بمبدأ عدم التجاوز.

هـ/ الإله:

إن فكـرة الإلـه دائمـا تـأرجح في فكـرة الإلحـاد والإيمـان سـواء أكـان الله موجـودا أو غـير موجـود، ففكـرة الإلـه لطالمـا صـنعت الحـديث في الفكـر الغـربي والعـالم ككـل، فهنـاك مفارقـات عديـدة تظهـر لنـا جليـا في الفكـر الإسـتناري وقـد عـبر المسـيري عـن هـذا بقولـه"يتأرجح الفكـر الإسـتناري بـين الصـريح والربوبيـة,و لكـن سـواء كـان الالـه موجـودا أو غـير موجـود فهـذا الأمـر هامشـي لأنـه إن وجـد علاقـة فـلا علاقـة لـه بمنظومـات الإنسـان المعرفيـة والأخلاقيـة والجماليـة الـتي تسـتند إلى الطبيعـة/المادة فالإلـه بالتـالي شان خاص"[2]

فالمسـيري يـرى أن فكـرة الإلـه ليسـت بـذلك المنظـور الـذي يسـتحق الإنسـان أن يخـوض فيـه، لمـاذا؟ لأن هنـاك منظومـات ماديـة طبيعيـة تـزيح هـذه الفكـرة لأنهـا في اعتقـادهم أوسـع وأشمـل لأن كـل شـيء يسـتند إلى الطبيعـة والإلـه ,فهـي نظـرة إلحاديـة تنكـر صـفات الإلـه في الكـون والمرجعيـة النهائيـة لـه

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، مصدر سابق، ص 227.

[2] عبد الوهاب المسيري: حركة الاستنارة وتناقضاته، مصدر سابق، ص 19

والكامنة فيه، ولقد شهدت هذه الفكرة العديد من التحولات خاصة عند "روسو" الذي اعتبر ماديا خاصة بالمناهج المادية التي ظهرت فكرتها في المدرسة الفرنسية وتبلور مشروع الفكرة ليصل إلى فولتير الذي تأثر بأفكار الانجليزي "جون لوك" وكانت أفكاره تتمحور حول الرؤية البنيوية الواحدة الآلية، لأن الطبيعة هي التي تتحرك حسب قوانينها، ولكن في نفس الوقت آمن أن الله هو العنصر المفارق والجوهر الأول. ولكن هذا الإله ليس جوهرا مستقلا إنما هو حال في الطبيعة التي تعبر عن جوهر المنظومة الحلولية حيث يصبح هنا مفهوم الطبيعة أوسع وأشمل . وبهذا الصدد أكد المسيري في قوله: "أكد بول هنري مولباخ في أهم كتبه نظام الطبيعة 1550 أن الإنسان ابن الطبيعة، وأنه لا يوجد شيء اسمه الروح وأن الأخلاق والأفكار مصدرها الإحساس وأن الطبيعة المادة والحركة هي حركة بسيطة. والأجسام والعالم المادي من صنع نفسه وتتوجه هذه الواحدية المادية التي ترى سويا جوهرا واحدا وهو المادة"[1]

ويؤكد المسيري في ترجيحه لهذه العبارات أن الإنسان ابن الطبيعة البار فهو مجرد، وقد طبقت هذه القوانين على مجموعة من المنظومات أبرزها الدولة التي هي لب المجتمع فهي تهدي هذه الطبيعة وتطبق كافة قوانينها على المجتمع، وهذه التعابير تدل على الاتجاهات الطبيعية في الإنسان بتحكم عقلي ومادي محض.

وما يمكننا قوله أن هذا التحكم مهد لاحقا لظهور الإنسان الطبيعي والحقوق الطبيعية والدين والأخلاق الطبيعية. وتقديس الطبيعة واجب الوجوب، والطبيعة بصيغة أخرى لا تكترث بالإنسان لا من جهة الخصوصيات أو الرغبة فهي تقضي عليها، ولعل المسيري قدم لنا مثالا رائعا تسقط حال الإنسان بدهر نين كما حكي القرآن الكريم، قال تعالى: {**إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين**} [2]

فالطبيعة إذن تدرك ذاتها ولا يمكن تجاوزها أو تفسيرها إلا بالعودة إلى قوانينها الثابتة الغير قابلة للتغيير، ولعل المسيري عبر عن مفهوم الحلولية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الطبيعي والمادي وإلغاء

[1] المصدر السابق، ص 20.

[2] سورة المؤمنون، الآية 37

القداسة ورفض أي مفهوم يدل على الثنائية وعدم وجود مادي، وهذا الفكر الغربي المادي الذي حاول أن يؤله الإنسان ويجعله مركزا للكون ويربط بالإله. ولكن الطبيعة تبقي نفس النبض، إذ أن مبدأها لا يتغير مهما حاولنا فإننا لا نستطيع أن نتجاوز هذه القوانين التي تفرض. وبين المسيري العديد من المصطلحات التي تدور في فلك الطبيعة، ولعل أبرزها "الوحدانية وطبيعة المادة" كلها مصطلحات تعبر عن الثبات وعدم القدرة على التجاوز، لأنها هي التي تتحكم في هذا الكون الذي يسمى بالكون المادي والتي عزلت فيها تفكير الإنسان والقدرة الإلهية في خلقه وسيادته عليه1.

و/ الحلولية الصلبة والسائلة:

هما من أهم المراحل الأساسية في مسار الحلولية، حيث عملت على مبدأ الوحدانية في إرهاصاتها الأولى، إذ كان الإنسان واحد بمعنى ثلاث "مسار التاريخ، وروح الشعب، الرجل الأبيض"2، وفي نفس هذه المرحلة يصبح الإنسان هو المركز الأساسي ويتم تجاوزه بأحد العناصر المكونة له، وهنا كان الإنسان يتمتع بقدرة عالية رغم التفكيك. وبعد هذه المرحلة بدأ مصطلح الإنسان يتلاشى شيئا فشيئا وينغمس في أن يكون إنسان طبيعي، الأمر الذي أعلن عن نهاية عمر الإنسان وبداية ما يسمى بمبدأ الوحدانية الطبيعية المادية، التي شملت كل الكائنات الحية، وتعدت إلى ما يسمى بالقضاء على القداسة وأصبح هذا المصطلح موازي لمصطلح المدنس وأصبح كل شيء يسير في فلك الصيرورة. وهذا ما حدث في مرحلة ما بعد الحداثة وذلك بحلول الحلولية الصلبة والسائلة والدور الفعال الذي قام به الفكر الغربي .وقد عبر المسيري في الكثير من محاضراته بقوله: "من الواضح أن إزاحة من المركز وتعليله ونزع القداسة عنه ليست مسألة مزاج شخصي أو أزمة نفسية وإنما هي ثمرة منظومة حضارية كاملة، ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا في إطار تحليل حضاري فلسفي عام"3.

فالمسيري يؤكد أن الفكر الغربي قد استولى على المنظومات الأخلاقية وطغى عليها ككل، ولفهم هذه الظاهرة يجب علينا أن نعرفها داخل نسقها الفلسفي ونحلل أهم المبادئ الحضارية لكي

---

[1] عبد الوهاب المسيري: حركة الاستنارة وتناقضاته، المصدر السابق، ص 21

[2] المصدر نفسه، ص 471

[3] عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي: الحداثة آفاق معرفية متجددة، ص 17.

نستطيع أن نعالج هذه المنظومة بكليتها، وهذا الانتقال الذي شهدته الحلولية الصلبة والسائلة يعتبر أحد الفروع الأساسية في بناء وتحديد الفكر المادي عموما، ولعل المفكر الألماني "نيتشه" أسهب بالحديث عن خصائصه في تأكيده أن كل الأمور المادية متساوية، وأنكر أي وجود لمرجعية متجاوزة.

ز/ العلمانية الشاملة:

هي أحد السمات البارزة في المنظومة الحلولية الكمونية المادية، فهي لا تكتفي بصل الدين عن الدولة فقط بل تقضي على القيم الإنسانية، وتنزع القداسة من الإنسان، وقد عبر المسيري عن هذا بقوله: "ويمكن أن نسميها أيضا العلمانية الطبيعية المادية، أو العلمانية العدمية، وهي رؤية شاملة للكون بكل مستوياته ومجالاته، لا تفصل فقط الدين عن الدولة وعن بعض جوانب الحياة العامة، وإنما تفصل كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية عن كل جوانب الحياة في بادئ الأمر ثم عن كل جوانب الحياة الخاصة في نهايته، إلى أن يتم نزع القداسة تماما عن العالم الإنسان والطبيعة وهي شاملة"[1]، يؤكد المسيري أن العلمانية الشاملة تقضي على كل الصفات الإنسانية وتجعل من العالم يمشي على مبدأ واحد، تحت راية العلمانية والواحدية المادية، التي لا يمكننا إن نتجاوزها لأننا محكومون بالطبيعة، التي لا تفرق بين الإنسان والكائنات التي تعيش معه على وجه الأرض، حيث يحكمها قانون الطبيعة المادية، يقول المسيري: "... ويسمى قانون الحركة أو القانون الطبيعي المادي، الأمر الذي يعني سيادة الواحدية المادية وكل الامور في نهاية الامر في تحليل الأخير مادية نسبية متساوية لا قداسة لها"[2].

ويشير المسيري أن العلمانية شأنها شأن الحلولية الكمونية، التي تقضي عل القداسة والتي لا تفرق بين المقدس والمدنس، ولعل نموذج العلمانية الشاملة يقترب من منظومة دواوين في الصراع، فالعلمانية بشكل أو بآخر تقضي على الثنائيات التي تخلو من الثغرات أو المسافة.

---

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الشاملة، مصدر، مج2، سابق، ص 474

[2] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الشاملة، مج 2، ص 475.

ح/ الثنائية الصلبة

إن هـذه الثنائيـة المقصـودة ليسـت كسـابقتها مـن الثنائيـة الفضفاضـة والثنائيـة الصـلبة تحمـل عنصـرين مهمـين ومتسـاويان رغـم وجـود صـراع قـائم بـين هـذه الثنائيـات، وهـذا غـير ممكـن في أمـر المرجعيـة والحلولية، بمعنى أن هذه المرجعية ترفض هذا التساوي وتجعل من التساوي شيء مستحيل .

ومـن أهـم أشـكال الثنائيـات الموجـودة في الـنظم الحلوليـة نظـام الخـير والشـر حيـث يلـتحم هـذين المفهـومين ويصـبحان شـيء واحـد ويفيـد التفسـيرات الأخـرى، ان هـذه الحـالات الخـير والشـر في الـنظم الحلوليـة لـيس لهـا وجـود حقيقـي، وأهـم مصـطلح تتركـز عليهـا الحلوليـة الكمونيـة هـي الثنائيـة الصـلبة الـتي تشـكل مـا يسـمى "الإنسـان والطبيعـة" حيـث تـؤمن الحلوليـة بـأن الله يحـل بهـذا الكـون ويختفـي، وبـذلك يصـبح مركـز الكـون يتأصـل الإنسـان والطبيعـة. وهـذا الشـي مسـتبعد في اعتقـادي لمـاذا؟ لأن الإنسـان إذا تألـه فإنـه سـبق الطبيعـة وبـذلك تجاوزهـا وهـو بـذلك هزمهـا شـر هزيمـة، وتعتـبرا لثنائيـة الصـلبة أحـد الركـائز الأساسـية في المفهـوم الحلـولي الكمـوني حيـث كانـت تتـأرجح دائمـا بـين الـذات والموضـوع والوحدانيـة والذاتيـة والثنائيـة الصـلبة1، ويعتـبر هـذا المفهـوم شـكل مـن أشـكال الواحديـة لأن هنـاك عنصـرين متصـارعين لا يوجـد بينهمـا أي فـرق جـوهري وهـذا الصـراع يحسـم بـدمج العنصـرين لأنهمـا في الأسـاس متسـاويان وتعارضـهما هـو عـدم القبـول بـالآخر في حالـة أخـرى. كـذلك هنـاك صـراع الإنسـان مـع الطبيعـة الـتي تنتصـر فعـلا لأنهـا أكثـر شمـولا ومادیـة. وينتهـي الواحـد الإنسـاني والتمركـز حـول الإنسـان إلى " الواحدية الموضوعية" المادية بمركز المادة فهي أساس الثنائية الصلبة في الأساس.

ط/ وحدة الوجود

تعـد وحـدة الوجـود إحـدى السـمات البـارزة في المنظومـات الحلوليـة والماديـة حيـث تعـبر عـن المركـز الأساسـي لهـا وهـذا مـا نـراه في الفكـر الغـربي المعاصـر وتظهـر كلمـة وحـدة الوجـود في الأفـق بأنـه لـيس لهـذا العـالم إلـه أو رب متبـاين ومنفصـل عنـه، والله تعـالى حسـب هـذا التصـور لـيس الواحـد الـذي يخلـق الوجـود مـن الخـارج وإنمـا هـو الوجـود نفسـه، وهـذه المفـاهيم والمصـطلحات تحمـل في طياتهـا مضـمونا "غربيـا

[1] عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية الصهيونية، مصدر سابق، ص 73

إلحاديا"، وقد جاء تفسيره في المعاجم إن هذا المفهوم يحمل في طياته رؤية مادية والحادية خاصة بإنكار وجود الإله ويرد كل شيء إلى المادة فهي بذاتها وعنها نشأت الكائنات، فالوجود المادي هو وجود يحصر في الطبيعة وقوانينها ويبين المسيري هذا بقوله: "أن وجود الوجود هو إرجاع الكون والإنسان إلى مبدأ واحد كلي كامن في الكون مؤثرا فيه ومتفاعلا معه باستمرار وهذا المبدأ هو مبدأ الطبيعة وهو المصدر الوحيد والأساس الذي تنتهي فيه الماهيات والثنائيات وخاضع لقوانين كل شيء وفي داخله تفسير لكل الظواهر والمعاني والجواهر"، بمعنى أن الله والطبيعة حقيقة واحدة وهذا ما نادى به فلاسفة الغرب امثال "سبينوزا" و"هيجل" مرورا إلى المتصوفين المسلمين من أمثال "ابن عربي" "وابن الفارض" الذين تأثروا بالأفلاطونية المحدثة وعلى ذكر وحدة الوجود المادية فهناك وجوه أخرى يسمى وحدة الوجود الروحية"[1]

ك/ وحدة الوجود الروحية

ظهرت هذه الفكرة في القديم إذ ظهرت الإرهاصات الأولى عند اليونانيين القدامى على شكل وصفة مرورا إلى الحضارات الشرقية القديمة وبالتحديد في الهندوسية التي كانت تعاليم روحية كبيرة من خلال تمجيد الإله وتقديسه وربطه به وبالحماية، ولكن سرعان ما انتقلت هذه الفكرة إلى المسلمين وهي العلة في التصوف ومناجاة الإله والارتباط بوجوده، والإنسان بطبيعته روحي، ولعل التصوف العلاج الذي بين أن الوحدة تجعل كل شيء واحد حيث يقول: "إن وجود الواجب وهو عين ذات الله وهو وجود الممكنات من الممكنات فقد عبد الله"[2]، وتتمحور هذه المقولة في العبادة الروحية وتمسك بالجوهر الروحي لله وعبادته في أبسط الأمور لأن وجود ما يسمى بالممكنات دليل على وجود سيد الخلق وعبادته أحق عبادة والتفرغ إليه ويجب أن نرتبط به في أبسط الأشياء فهو واجد الوجود، ويؤكد المسيري في هذا الصدد على هذا بقوله: "يود المتصوف الحلولي الزاهد في الدنيا وعالم الجسد أن يترك

[1] المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، مصر، ص 212

[2] عبد الحليم الحنفي: الموسوعة الصوفية، ص ص998، 999.

الـدنيا تمامـا ليعـود إلى الإلـه ويتحـد بـه كـي يتحقـق الجـوهر الربـاني تمامـا تم الإتحـاد الكامـل الإنسـان في الله فإن الفاصل بين الإله ويتحد في الإنسان بدلا من إخضاع ذات الإله تتحول الذات وتتوحش"[1]

بمعـنى أن العـالم يمشـي علـى مبـدأ واحـد فالإلـه يحـل في مخلوقاتـه ويمتـزج بهـا ويتوحـد معهـا ويـذوب فيهـا تمامـا بحيـث لا يعـبر وجـود دونهـا ولعـل العابـد هـو الـذي يـترك ملـذات الـدنيا ويتجـه إلى مناجـاة الإلـه ويتوحـد معـه ويحقـق التوحيـد بينهمـا. كمـا عـرج المسـيري إلى التأكيـد أن الحلوليـة الماديـة والإيمانيـة أو الروحيـة إن صـح التعبـير فـرق جـوهري بينهمـا، وهنـا نجـد مفارقـة كبـيرة أن وحـدة الوجـود الماديـة والروحيـة تمحـو مـا يسـمى بالثنائيـات والمسـلمات أو القـدرة علـى التجـاوز، ويمكـن القـول أن الحلوليـة هـي عكـس التوحيديـة الـذي يـدرك بـه الإنسـان الخـالق باعتبـاره إلـه العـالمين الواحـد المتجـاوز لعـالم الطبيعـة والتـاريخ، ولعـل المبـادئ الحلوليـة تعـبر عـن ذلـك وهـذا مـا سـنتعرف عليـه في الرؤيـة العليـة والسـائلة، وحسـب اعتقـادي تمثـل أحـد الأدوار في بنـاء الـنظم الحلوليـة الغربيـة ومـن ثمـة فـإن الإنسـان في المرحلـة المقبلـة أصـبح ماديـا أكثر.

وفي الأخـير نسـتنتج أن مصـطلح الحلوليـة يحمـل في طياتـه فكـرا ماديـا بحـت يريـد مـن خلالـه إعـلان مـا يسـمى العلمانيـة الشـاملة، ولعـل المسـيري قـدم لنـا بوضـوح مجموعـة مـن المفـاهيم والمصـطلحات الغربيـة الماديـة، بدايـة مـن الحلوليـة وصـولا إلى الواحديـة كلهـا في بوتقـة واحـدة، ومـا يريـد المسـيري إثباتـه هـو السـيطرة الماديـة علـى الكـون والإنسـان والإلـه، بحيـث أصـبح الفكـر المـادي هـو الفكـر السـائد وهـذا مـا يقابلـه الـرفض مـن قبـل المنظومـات التوحيديـة الـتي دعـت إلى رد الإعتبـار للإنسـان والمحافظـة علـى المسـافة والقداسـة بـين الإلـه والإنسـان، وتظهـر عـدة فـروق جليـة بـين المنظومـات الحلوليـة والتوحيديـة وهـذا مـا سنوضحه في المبحث الثالث.

[1] عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، مج1، مصدر سابق، ص87

المبحث الثالث: الفرق بين الحلولية والتوحيدية

لعل السيطرة الواضحة التي يشهدها الفكر الأوربي على الفكر الإنساني واجتياحه له ,وانغماسه في الطبيعة والصراع، هو ما جعل المسيري من المفكرين الذين عالجوا ودافعو عن الإنسان ككل وإبراز ثنائية الخالق والمخلوق والفرق بينهما وبين المادية الواحدية التي تميز العلمانية المعاصرة. وتظهر لنا جليا العديد من الفرو قات الجوهرية بينهما خاصة في المبادئ والأهداف وهذا ما سنتعرض له في هذا المبحث بالتحديد، لذلك نتساءل: ما هي الفروقات الجوهرية بين الحلولية ونظيرتها التوحيدية؟

ولتحديد هذه الفروقات ارتأينا أن نحدد ها برمز، فالتوحيدية نرمز لها بالرقم 1 والمنظومة الحلولية بالرقم "2" لكي يكون التسلسل واضحا ومتتالي. وتظهر الفرو قات الجوهرية بين المنظومتين في العديد من المواضع المهمة: كالمسافة والإنسان، والطبيعة والإله والوحدانية والتوحيدية والتجاوز والتعالي والقداسة ويمكن تمثيلها في ما يلي:

1/ تؤكد النظم التوحيدية على وجود ما يسمى "بالمسافة بين الخالق والمخلوق"[1]، وعلى وجود ما يسمى بالحدود فمهما بلغ الإنسان من عبادة وتقرب إلى الإله إلا أنه يحمل ذلك الجوهر في هذا الكون الذي يحفظ المسافة رغم أن هذا الإنسان في نفس الوقت كائن مستقل بحد ذاته يجب دائما أن يلتمس إيمانه من الإله فالعلاقة بين الخالق والمخلوق علاقة اتصال وانفصال.

2/ ترى النظم الحلولية الكمونية عكس ما تراه الرؤية التوحيدية في مسألة المسافة، لأن الإنسان في هذه الحالة يحاول دائما أن يضيق المسافة بينه وبين الخالق تدريجيا حتى يصل إلى درجة الالتصاق بالله حتى أن هناك من وصف هذه العلاقة بالعلاقة الجنسية، ويتوحد هذا الإله ويذوب في الإنسان حتى يصل إلى مرحلة وحدة الوجود وبذلك تلغى المسافة بين الخالق والمخلوق ويصبح الخالق والمخلوق كيانا واحدا تلغى فيه المسافات وتسد فيه الثغرات بسبب الخلفيات التي ذكرناها سابق.1: تحافظ المنظومة التوحيدية على أهم ركيزة لها وهي قداسة الإله والتمسك به لما له من أهمية دينية واجتماعية والتحريم على كل من يدنسه أو يقترف سوء، فمصطلح القداسة كما ذكرنا سابقا هو التمسك والتقدير للاله

[1] عبد الوهاب المسيري: مصدر سابق، ص 213

1/ بجعله أحد الرموز الأساسية. فهي رمز الهمة ورمز القوة الإيمانية والإلهية، وهي متوارثة من جيل إلى جيل، وهذا التماسك في النظام التوحيدي بهذه الأسس على عكس النظرة الحلولية التي لا تفرق بين الشيء المدنس والمقدس، فهما شيء واحد. على هذا فالقداسة هي رمز الإله الفاني الذي يعبده الجميع مهما كانت صفاته وليعلم أن صفات القداسة تختلف من مجتمع إلى آخر لا أن الرؤية التوحيدية لله واحدة متجذرة في الأصول الربانية المقدسة.

2/ تؤكد الحلولية على عكس الرؤية السابقة، إذن أن الشيء المقدس ينتقل بشكل مادي وليس روحي لأن الإله كامن، فرغم أن هذه القداسة تورث من أب إلى ابن وتركز على مبدأ الواحد الذي قدسته, وتحللت القيم الأخلاقية وأصبح المدنس شيء طبيعي جدا، لأن الإله حل بمخلوقاته واتصل بها بحيث تختفي الثنائيات والحدود والهويات, وتصبح الأمور نسبية مباحة لا قداسة لها. ونزع القداسة هي منتهى نزع العلمانية الشاملة[1]

1/ تؤمن النظم التوحيدية أن الله لم يخلق هذا الكون من عدم بل تؤمن أن الإيمان بأن العالم لديه معنى وهدف وغاية تتجاوز الحركة المادية مباشرة، وهذا ما تؤمن به الديانات التوحيدية، كما تؤكد النظرة التوحيدية أن هذا العالم لم يخلق عبثا بل خلق لغاية، وتؤمن أن الله خلق هذا الكون لهدف معين ولعل الديانات التوحيدية التي سبقت خاصة الإسلام تؤكد مدى صحة هذا الأمر ولهذا الخلق معنى كبير جدا وهذه رؤية معادية للمادية الماركسية التي تؤمن أنه لا حركة ولا معنى ولا هدف في هذا المعنى بل العالم له هدف معين ووجود الإنسان لديه معاني وغاية وهو ذو أصول ربانية لأنه هو الذي خلقه واستخلفه في الأرض وحمل له الأمانة.

2/ إن النظم الحلولية لم تكتف بإشكالية الوجود أو المسافة أو الواحدية المادية بل تتعدى إلى إشكالية الدال والمدلول حيث أكدت على الانفصال التام بين الدال والمدلول، وتلغي المسافة بينهما فهذه الفكرة تدل في جوهرها على فكرة العلمانية الشاملة في الفكر الغربي الذي يؤمن بسببية كل شيء ولا يؤمن بقيم مطلقة كالإنسان والدين ويعود سبب هذا الانفصال بين الدال والمدلول إلى الأحداث التاريخية التي شهدتها أوروبا في تقاعد معدلات الترشيد الكبرى حيث أصبحت لا تهتم بالغايات.

[1] مرجع سابق، ص 174.

1/ وعلى عكس سابقتها تؤكد النظم التوحيدية في إشكالية الدال والمدلول على أشياء مهمة جدا خاصة بما يسمى بالعلاقة فهي في اتصال وانفصال دائما بحيث لا يلتحم الدال مع مدلولاته، فهي متشابكة وفضفاضة. واللغة عندما تصبح فضفاضة تصلح للتواصل رغم أنها غير مكتملة وهذا رد على الموقف ما بعد الحداثي الذي يطرح ضرورة كحل لها.

2/ إن لمنظومة الحلولية الكمونية او الوحدانية هي مذهب يعترف بوجود ما يسمى بالمادة والعالم الطبيعي فلا صوت يعلو فوق صوت الطبيعة التي ينمو فيها الإنسان ولا يستطيع تجاوزها لأنه في اعتقادهم أن الكون متكون من ثلاثة أشياء رئيسية وهي (الإله، الإنسان والطبيعة)1، وهو مكون من جوهر واحد للرؤية المادية، وتملك الرؤية الحلولية العديد من المفاهيم والمصطلحات الأساسية مثل: الواحدية والرؤية المادية والكمونية على حد تعبير عبد الوهاب المسيري.

1/ وفي المقابل فإن النظم التوحيدية للرؤية التوحيدية هي عكس الحلولية الكمونية إذ أنها تعترف بوجود الإنسان والإنسانية، وترجع إلى ركيزة أساسية في هذا الكون وهي ثنائية الخالق والمخلوق وتنتقل إلى ثنائية لا تقل شأنا من الأولى، ولعل وجود ثنائية مثل وجود الإنسان والطبيعة وثنائيات فضفاضة

1/ ينكر هذا المذهب أحد أهم العناصر الأساسية في هذا الكون وهو الحيز الإنساني المستقل الذي يصبح تحت رحمة الطبيعة ويذوب فيها وهو جزء لا يتجزأ منها محكوم بمجموعة من القوانين التي لا يستطيع تجاوزها فهي تلغي كامل الموجودات وتحصرها في وحدة الوجود أي إرجاع الكون والإنسان إلى مبدأ كلي كامن في الكون .

1/ إن التوحيد هو الذي يعترف بوجود الله الذي خلق الطبيعة والتاريخ وهو الذي خلق البشر واستخلفه الله في الأرض الذي يمنحه كل المعنى ويعطيه الغاية من الوجود، لأن الله هو من خلق هذا الكون ولم يحل فيه ولم يحل في أي عنصر من العناصر البشرية ولم يسقط في تلك الواحدية التي تدعو إليها النظم الحلولية الكمونية، فالله عنصر من العناصر المفارقة في الوجود الكوني والإنساني ككل.

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، مصدر سابق، ص 223

2/ على عكس النظم التوحيدية فإن المذهب الحلولي الكموني لا يعترف بما يسمى بوجود الإله، لماذا؟ لأن الإله يحل في الإنسان ويؤوله وهو الطبيعة والمادة لذلك تصبح الطبيعة هي المركز والإله(،) وبذلك "ينكر مبدأ التجاوز ومبدا الثنائية"1، فالإله عند هذه المنظومة مجرد من مركزية الكون بإنكاره وجود الخالق والمخلوق رغم انه يحل فيه. وبذلك قضت على المسافة بين الخالق والمخلوق، وأصبح الكون جوهر واحد أي أن الإله والطبيعة والإنسان أصبحوا يحملون معنى واحد وهو مبدأ الواحدية المادي.

2/ يلعب المجاز اللغوي دورا مهما في إدراك المنظومات التوحيدية خاصة في إدراك الإله الواحد، و تقدم الفهم الرائد الذي يلعبه المجاز في تعميقه لقضية التوحيد، لذلك عبر المسيري في قوله: "...فإننا ندرك الإله من خلال المجاز"2، فإن المجاز هو احد العمليات الإدراكية للإنسان، ولإدراكه لحدود الأرض.

وفي الأخير نخلص إلى أن المسيري حاول أن يقدم لنا نموذجا مضادا للحلولية، فبالرغم من السيطرة الواضحة للعقلانية المادية الغربية قدم جوهرا أساسيا للمنظومة التوحيدية، التي تؤمن بالمسافة والثنائية بين الخالق والمخلوق، وبين الدال والمدلول، ودفاعه عن الإنسانية والثنائية الفضفاضة، التي تظهر في الإنسان المشترك والنزعة الربانية للإنسان التي يستمدها من الإله، ولعل مبدأ التجاوز يظهر لنا مدى أهمية هذه المنطلقات التي سبق ذكرها، في تجاوز الغربية المادية.

كما أسلفنا الذكر هناك نماذج تنكر وجود مسافة بين الخالق والمخلوق، على عكس المنظومة التوحيدية ، التي تحتفظ بالحدود والمسافة بين الخالق والمخلوق، فيظل المؤمن دائما في مسافة بينه وبين خالقه مهما بلغت درجة إيمانه، وهذا يحيلنا إلى التعريف بالتجاوز لمعرفة رؤية المسيري لهذا الموضوع الذي استثاره للدفاع عن الإنسان، ونقد المشروع الغربي المادي.

---

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، مصدر سابق، ص 223

[2] المصدر نفسه، 159

المبحث الرابع: التجاوز والتعالي

لـو تمعنـا النظـر في الفكـر المـادي, لوجـدنا أن الإنسـان بقـي حبـيس قـوانين الطبيعيـة الـتي عجـز عـن تجاوزهـا أو السـيطرة عليهـا, أمـا المسـيري فلديـه رأي آخـر في تجـاوز الطبيعـة مـن خـلال الاسـتناد إلى مجموعـة مـن النمـاذج والمصـطلحات الأساسـية , أبرزهـا التجـاوز والتعـالي، فمـا مفهـوم التجـاوز؟ وكيـف يستطيع الإنسان أن يتجاوز المادة الطبيعية؟

1/ **تعريـــف التجـــاوز والتعـــالي**: يعرفهـــا المســـيري في الموســـوعة كمـــا يلـــي "تـــترجم بالإنجليزيـــة handnce transcendDnce الترانســـندانس، وهـــي مـــن اللاتينيـــة "ترانســـكنديرى"، مـــن مقطعـــي "تـــرانس" بمعـــنى وراء، وكلمـــة تجـــاوز1، عـــادة مـــا توضـــع مقابـــل "كمـــون" و"حلـــول" والتعـــالي هـــو أن يعلـــو الشـيء ويرقـي حـتى يصـير فـوق غـيره، ولـذا فهـو شـيء مفـارق لـيس فوقـه شـيء، وهـو يجـاوز كـل حـد معلـوم أو مقام معروف، والشيء المتعالي لهذا السبب يتحدى التجربة المادية.

وعكـــس التعـــالي والتجـــاوز الحلـــول والكمـــون بالإنجليزيـــة "مـــانتيزم panthéisme و إمتنـــاس immanence ويضـيف المسـيري في تعريفـه للتجـاوز وفي هـذا الصـدد فيقـول: "المرجعيـة النهائيـة يمكـن أن يكـون خـارج عـالم الطبيعـة بكـل مـا يتسـم بـه مـن تغـير وتعـدد ونسـبية وسـيولة وراء نظـام يتسـم بالوحـدة والثبات والمطلقة، وثمة مركز ثابت للظواهر العارضة متجاوزا لها وهذا ما نسميه المرجعية المتجاوزة"[2].

يؤكـد المسـيري في قولـه هـذا أن النقطـة المرجعيـة المتجـاوزة في الـنظم التوحيديـة والإلـه المنـزه عـن الطبيعـة والتـاريخ، الـذي يحركهمـا ولا يحـل فيهمـا ولا يمكـن أن يـرد إليهمـا. كمـا أشـار إلى وجـوب ضـمان مسـافة الـتي تفصـل الإنسـان عـن الطبيعـة، والـتي يجـب ألا تلغـى فالإنسـان خلقـه الله ونفـخ في روحـه وكرمـه، وحملـه الأمانـة والاسـتخلاف أي أن الإنسـان أصـبح مركـز الكـون ورفـض رفضـا مطلقـا الـذوبان في الطبيعـة وأكـد المسـيري أن التجـاوز هـو الـتخلص مـن أعبـاء الطبيعـة وسـيطرتها علـى الإنسـان، فالإلـه هـو مـن خلـق هـذا الكـون، وعليـه فالإنسـان يملـك الرغبـة في التجـاوز، ويـرفض أن يكـون أسـيرا لنظـام الطبيعـة، لأن وجـوده هـو عنصـر ربـاني مفـارق، عكـس النزعـة الماديـة الـتي تنكـر دور الإنسـان وقيمـه الروحيـة، وبهـذا يمكننـا

[1] عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سابق، ص 60

[2] المصدر نفسه، ص 61

ان نطلق العنان لحرية الإنسان وضرب الطبيعة عرض الحائط بعيدا عن تملصات المادة، فالإنسان يحاول أن يؤكد مدى إنسانيته.

ويؤكد المسيري أن الإنسان تجاوز فكرة المنفعة المادية، ولذل فالإنسان لو كان يعيش دائما في إطار المادية لأصبح جزء لا يتجزأ من الطبيعة, يوجد في الإنسان ما يميزه عن الكائنات الأخرى، ولذلك يبرر المسيري قوله: "التجاوز هو أن يرقى الإنسان ويتعالى على حدوده الطبيعية والمادية وإن ظل داخلها ويمكن أن يطبق هذا المفهوم على الإله فتكون المقولة على الشكل التالي: أن الإله يتجاوز كل حدود الزمان والمكان، فهو منزه عنهما وعن عالم الطبيعة ,وعن الإنسان والإيمان بموجود متعالي متجاوز كل من الطبيعة والإنسان هو سمة المنظومات التوحيدية وهو مركز الكون، مركز غير مادي، يتجاوز المادة ولا يحل فيها أو يتوحد معها"[1]

يرى المسيري في هذا القول أن الإنسان هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة. وفلسفة التجاوز تتمحور في تحليلها على مسألة مركزية وهي قدرة الإنسان على تجاوز الطبيعة، وفي نفس الوقت يبين قدرة الإله في هذا الكون الذي يتجاوز المادة، وهذه سمة بارزة في الأطر التوحيدية، ويزيد المسيري هذه النقطة توضيحا (في قوله)"إن المنظومات المعرفية التي تدور في إطار المرجعية المتجاوزة لعالم المادة (مثل العقائد التوحيدية، تحتفظ بالحدود الفاصلة بين الخالق والمخلوق(العلي المتجاوز وبين مخلوقاته، فهو مركز النموذج المفارق والمتجاوز له"[2]، ومن الضروري أن نذكر النظرة الإسلامية حيث تكد أن الله عز وجل مفارق للإنسان، وهذه المسألة لا يمكن الحوار بشأنها ,كما يقول تعالى: {**ليس كمثله شيء**}[3]، أي أن الإقتراب من الله تعالى مهما كانت صفاته الإيمانية نجد المسافة بيننا وبين الله موجودة ويذكر المسيري أن الثنائية هي أحد السمات البارزة لمنظومة التجاوز الفلسفي حيث يقول: "أن الثنائية

[1] عبد الوهاب المسيري: الإنسان والحضارة، دار الهلال،ط1، 2002، ص 384

[2] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، مصدر سابق، ص 226

[3] سورة الشورى: الآية 11

سمة أساسية في النظم التوحيدية حيث يمثل التجاوز عمقها الفلسفي، وأهم الثنائيات الأساسية كما يسميها المسيري ثنائية الخالق المنزه عن الإنسان والطبيعة والتاريخ"[1]

إن من الخصائص التي ذكرها المسيري لهذه الثنائيات أنها فضفاضة لأن الإله مفارق لهذا العالم ولم يهجره ولم يتركه، وهنا يؤكد التفاعل بين العنصرين الثنائية، يقول "فالإله خلق العالم ونفخ فيه من الروح ولم يهجره بل دخل في علاقة معه فهو يرعاه"[2]، فالمسيري يحاول أن يدافع عن الإنسان ويقر بمرجعيته وتأكيده الفارق بين الإنسان والطبيعة، ورفض النموذج المادي باعتباره النموذج الذي يؤذي الإنسان لأنه يحمل راية، والمسلم المرتبط بالفطرة يجب أن يكون ربانيا وعالميا وهذا هو المنطق الذي آمن به المسيري حينما أكد على إنسانية الإسلام وعالميته، خاصة مصطلح الإنسان المشترك وهو مفتاح نقد للمسيري للغرب الصهيوني، وتجاوز الانحطاط المادي، وهذا ما يجعلنا نتعمق أكثر في العنصر القادم.

2/ فلسفة التجاوز عند المسيري:

لو نظرنا إلى فلسفة التجاوز عند المسيري لوجدناها تتمحور في جدلية مهمة ألا وهي الله الإنسان والطبيعة، والعلاقة التي تربطه، والمسيري يتحدث أو يستخدم العديد من المصطلحات المهمة مثل المسافة والحد، لكي يفسر العلاقة التي بينها. إذ أن الله هو الذي خلق هذا الكون فهو نموذج مفارق ومتجاوز لمخلوقاته، فهناك مسافة بينه وبين خلقه، فالله تعالى هو المطلق المتعالي على الزمان والمكان وعلى جميع أصول المادة وقوانينها، إن المسافة التي بين الخالق والمخلوق لا يمكننا أن نتجاوزها[3]، ولذلك فإن التجاوز هو الذي يعطي لهذا العالم (الإنسان والطبيعة) تماسكه، وهنا نعبر عن مصطلح التوحيد بمعناه الشاسع، يقول المسيري مبينا حقيقة التجاوز "إن فلسفة التعالي الحقة تصل دائما إلى وجود الإله يسبق كل الموجودات الأخرى، ومن ثم فهو سببها النهائي ولكنه منزه عنها وله وجود مستقل وهو مركزها وهو الغاية التي تسمى نحوها، فالله تعالى هو المتعالي والعالي والعلي وهو في

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، مصدر سابق، ص 299.

[2] عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية والهدامة والسرية، دار الشروق، ط1، 1995، ص 299

[3] عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهودية والصهيونية، مصدر سابق، ص 65

قوله تعالى {**عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال**}1، البائن عن خلقه أي أنه مركز الكون والمدلول النهائي المتجاوز لطبيعة والتاريخ المنزه عنها"2

ويؤكد المسيري أن الله هو أحد السمات الأساسية للتوحيد التي يصدر عنها ثنائية الخالق والمخلوق، وعالج موضوع المرجعية المتجاوزة في إطارها المعرفي التوحيدي.

وفي ظل السيطرة الغربية الحديثة يؤكد المسيري رفض التجاوز من قبل الماديين "'ويلاحظ أن تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة هو تاريخ تقاعد معدلات الحلول "الكمون والإنكار المتصاعد لأي تجاوز، ومن ثمة فهو تصاعد للواحدية المادية وتصفية لثنائية المتجاوز الكامن، إلى أن تصل إلى الفكر التفكيكي وفكر ما بعد الحداثة الذي ينكر أي تجاوز أية مركزية لأي شيء بل ينكر فكرة الكل نفسها باعتبار أن الكل متجاوز للأجزاء"3.

يؤكد المسيري أن الفلسفات المادية بالطول والعرض ترفض تجاوز الطبيعة، وأصل الكون متجذر تحت راية واحدة وهي مبدأ الواحدية المادية، ولعل واقع الحداثة يبرر ذلك إضافة إلى العلمنة التي تنكر إمكانية التجاوز، وتأكد أن الإنسان جزء من هذا العالم، فهو إنسان طبيعي مادي لا يمكنه أن يتجاوز الطبيعة المادية ولا يمكنه حتى تجاوز ذاته أو التحكم ضد التجاوز، فهو خاضع إلى القوانين المادية ولا يمكن حوصلته لأنه يدور في بوتقة واحدة ومرجعية نهائية تتجلى في الأطر المادية فالإنسان أصلا يعيش في عالم طبيعي مادي مكتف بذاته.

إن فلسفة التجاوز هي رؤية لا يمكن أن تكون مستقلة بذاتها أو كما سماها الفلسفة الهيومانية التي تتأرجح بين الإقتراب من المرجعية المتجاوزة التي تنطلق من منطلق أن الإنسان يحمل داخل قبس الإلهي، وبين الرؤية الأخرى التي لا تقول بالتجاوز، ونضيف أن كل ابتعاد عن الرؤية الأولى هو اقتراب من الرؤية المادية و اقتراب من الرؤية المتجاوزة،ويميل المسيري إلى الفلسفة الإنسانية التي تدافع عن القيم والتي تتجاوز الرؤية المادية.

---

[1] سورة الرعد، الآية 5

[2] إسماعيل الفاروقي: إسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي، دار الفتح، ص 250.

[3] عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهودية والصهيونية، مصدر سابق، ص 61

ويؤكد المسيري على القدرة على التجاوز "... ومن ثمة قادر على التجاوز ذاته والتحرك مع الآخرين داخل الحدود التاريخية والاجتماعية والحضارية التي تشكل حيزنا الإنساني الذي نحقق فيه جوهرنا الإنساني، فهو إنسان فرد له قصته الصغيرة ولكنها صدى للإنسانية المشتركة وللقيمة الإنسانية الكبرى"[1]، إن الإنسان يحمل في طياته النزعة الربانية، التي تساعد على الخروج من نطاق المرجعية المادية و الدخول في غياب المرجعية المتجاوزة المتميزة عن الطبيعة المادية التي تقضي على تفكير الإنسان، فبفضل تحرره الواسع يصبح عقله توليدي للأفكار.

وفي الأخير نخلص إلى أن مبدأ التجاوز هو أحد المعايير الأساسية التي استعملها المسيري في إثبات الثنائية الموجودة بين الخالق والمخلوق وإعادة الإعتبار إلى الإنسانية في الحضارة الإسلامية بعدما قضت عليها الأطر المادية وتزايد ترشيد الحلولي، وقدم بدائل لتجاوز الطبيعة المادية والتحرر منها، ودعا إلى المسافة التي توجد بين الخالق والمخلوق التي لا يستطيع تجاوزها، ولعل التجاوز هو إعادة التراث الإسلامي إلى الساحة وتخليص الدول المسلمة من هذه الأشياء التي أثقلت كاهلها.

نتائج الفصل

إن الأطر التوحيدية التي عبر عليها المسيري آمنت بالمسافة والإله والثنائية بين الخالق والمخلوق وتمجيدها للقداسة وإعادة الإعتبار للإنسانية التي طالما دافع عنها المسيري في رحلته الإيمانية وضد الأطر الحلولية

إن الحلولية هي أحد أبرز المصطلحات التي استعملها المسيري التي تحدث في إطار الترشيد المادي للغرب وسيطرة العلمانية على كل أرجاء الدول الغربية التي تؤمن بالجوهر الواحد التي تقضي على الإنسانية والإله وتمجد المادة، حيث أغرق الإنسان في الإغتراب والتشيؤ.

إن التوحيدية والحلولية مصطلحان متضادان يظهران لنا العديد من الفروقات الجوهرية كالمسافة والإله والإنسان والطبيعة والثنائية بين الخالق والمخلوق.

إن مبدأ التجاوز هو حل قدمه المسيري لتجاوز الحضارة الغربية المادية الطبيعية وإثبات إنسانية الإنسان وألوهية الإله، والمسافة التي توجد بين الخالق والمخلوق التي لا يمكن تجاوزها.

[1] عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهودية والصهيونية، مصدر سابق،ج1، ص 87.

الفصل الثالث :

الدراسات المعرفية عند المسيري

المباحث :

- اللغة عند المسيري
- المعرفة عند المسيري
- الوجود والتاريخ
- تقييم ونقد

الفصل الثالث: الدراسات المعرفية عند المسيري

تمهيد:

إن المتأمـل في الدراسـات المعرفيـة الـتي قـام بهـا المسـيري خاصـة فيمـا يتعلـق بموضـوع اللغـة الـذي يشـكل حيـزا كبـيرا في مؤلفاتـه مـن خـلال بحثـه في طبيعـة العلاقـة بـين الـدوال بمنظورهـا الحلـولي والتوحيـدي, مـن اتصـال وانفصـال, خاصـة فيمـا يتعلـق بالمجـاز ومـا شـكله في قـدرة العقـل الإدراكيـة, وتتعمـق هـذه الدراسـة أكثـر عنـدما يبحـث في الموضـوعية الاجتهاديـة والموضـوعية المتلقيـة, والـدور الـذي يلعبـه العقـل التوليـدي في تمحـيص المعلومـة وتحليلهـا بشـكل عقـلاني وتتضـح لنـا هـده الرؤيـة أكثـر في دراسـته للوجـود ونهايـة التـاريخ بدايـة مـن ثنائيـة الجسـد والـروح والتكامـل بينهمـا خاصـة في الإسـلام, مـرورا بمصـطلح نهايـة التـاريخ الـذي يشـهد تضـارب كبـير حسـب اعتقـاده بـين الماديـة والرؤيـة الإسـلامية, وانطلاقـا مـن هـذه الدراسـات الـتي قـام بهـا المسـيري نطـرح هـذا الإشـكال: مـاهي أهـم الدارسـات الـتي اعتمدها المسيري في بناء أسسه المعرفية؟

المبحث الأول: اللغة عند المسيري

تعتبر اللغة إحدى أهم أدوات التواصل بين البشر وتفاعلهم مع الطبيعة وعالم الأشياء، وتفاعل الذات بالموضوع، وهنا نشير إلى الدراسة المتعلقة بالعلاقة بين الدال والمدلول وهذه الدراسة ظهرت في اللغة خاصة في الفكر الغربي، حيث جعلت منها أحد المباحث الأساسية في الفلسفة، وظهرت مشكلة أساسية في اللغة عن طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، هل هي علاقة اتصال أم انفصال؟

وهذا ما حاول المسيري دراسته بتحديد العلاقة بينهما من خلال دراسته اللغوية والمجازية في إثبات وجود الإله والمسافة بين الخالق والمخلوق، وفي علاقتهما حيث قال بانفصالهما واتصالهما في نفس الوقت، فما هي أهم الدراسات اللغوية التي اعتمدها المسيري في إثبات وجود الإله؟ وماهي العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول ؟.

قبل الشروع في الدراسة التي قام بها المسيري يجب أن نلقي نظرة على الدراسة اللغوية الغربية، خاصة فيما يتعلق بالدوال حيث جعلها المسيري كمرجع لدراسته اللغوية.

1/ الدال والمدلول من المنظور الغربي:

إن دراسات الفكر الغربي المعاصر تجعلنا نتحدث عن الاسم والمسمى أي انفصال الدال والمدلول، ونجدها تستخدم كثيرا في علم اللغة التي تعبر عن مشروع إنساني ضخم في التواصل بين البشر وتفاعلهم مع الآخر، فهذه المشكلة "الدال" و"المدلول" تظهر في طبيعة انفصالها لذا يقول المسيري: "... وعلاقة بين الدال والمدلول بتأكيد انفصالهما واتصالهما في الوقت نفسه، ولذا فالهجوم على اللغة كأداة للتواصل، وعلاقة الدال بالمدلول هو كما أسلفنا هجوم على المشروع الإنساني بأسره وعلى مفهوم الإنسانية المشتركة"[1]، يؤكد المسيري في قوله هذا دور اللغة في التواصل بين البشر لأن أي شكل من التعدي عليها يعتبر قضاء على الجهود الإنسانية، كما يعرج في إثبات إنسانيته وفكره اللغوي. ياتي فرناندو دي سي سير 1857-1913م على رأس المفكرين الغربيين الذي يؤكد

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، مصدر سابق، ص 137

العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول, حيث يعتبر هو اول من تناول هذه الإشكالية في تأكيده على العلاقة الإعتباطية بين الدال والمدلول، وفي هذا الصدد يقول المسيري: "فهو يذهب إلى أن علاقة الدال بالمدلول لا تستند إلى أي صفات موضوعية كامنة في الدال، وبالتالي فإن العلاقة بين الدال والمدلول ليست ضرورية أو جوهرية أو ثابتة، فهي علاقة اعتباطية عشوائية فلا يوجد أي سبب منطقي أو موضوعي مثل كلمة قطة بالعربية أو كات بالإنجليزية"[1]، يؤكد "دي سو سير" في هذه العبارة أن هناك نسق مهم جدا يتمثل في علاقة الدال بالمدلول، وبين الثنائيات المتعارضة فالمثال الذي قدمه لنا يحمل في جوهره اختلاف بين الإشارات الدالة والأصوات، بمعنى أن الإختلاف موجود بين أسماء الحيوانات.

وتعتبر مشكلة انفصال الدال والمدلول مشكلة لغوية تحمل في طياتها أبعادا معرفية بحتة، وهذا ما أكده الفكر الغربي في الإنفصال بين الدال والمدلول، كما أكده المسيري بدوره إذ يقول: " أن اللغة نسق مكتف بذاته وقوانينها كامنة فيه وهو تأكيد بأن اللغة لا أصل لها أو أنها غير معروفة الأصل، وهذا النمط عام في الفلسفات المادية التي ترى أن أصل العالم هو المادة قديمة ذاتية التنظيم لم يخلقها أحد، وأن الخلق عملية غير مفهومة غير معروفة تمت بالصدفة وإن وجد إله فهو المحرك فحسب"[2]، يؤكد المسيري في هذه العبارة أن اللغة أخذت مكانة المادة، بحيث أصبحت اللغة تحمل في طياتها مبدأ واحد في الطبيعة والإنسان، ولعل توحدها في هذا الجوهر الواحد جعلها فوق كل إنسان وفوق الطبيعة، وهذا الإنفصال بين الدال والمدلول سببه الرئيسي سقوط اللغة في قبضة الصيرورة، وهذا يحيلنا إلى القول أنها تشبه الظواهر الطبيعية التي لديها نظام مستقل عن نظام الإنسان (يعني أن اللغة اصبحت خارج الإرادة الإنسانية).

2/ الحلولية والدال والدلول:

إن نظام الحلولية هو امتداد للحضارة الغربية الحديثة في تشكلها اللغوي، من خلال انفصال الدال عن لمدلول وإلغاء المسافة بين الخالق والمخلوق والتي تقضي على القيم الإنسانية، بمعنى أن

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، المصدر السابق، ص 123.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الإنسان أصبح ماديا ويؤمن بالمادة، وفي سياق متصل يؤكد المسيري بأن "الإنسان الغربي آمن بوجود كل مادي متجاوز له معنى وهو مصدر تماسك الكون ومصدر معقوليته كل مادي متجاوز لحركة المادة الذرية ويمكن أن يشكل مرجعية الإنسان"[1]، بمعنى أن لغة الإنسان في منظومة الحلولية، محصورة في طبيعة المادة وكل ثوابت المادة المتجاوزة متصلة بما يسمى بالجوهر الواحد، بمعنى أن مرجعية الإنسان الأولى يستمدها من الطبيعة وقوانينها كامنة فيه، ورغم وجود الدوال في الفكر الغربي الحديث إلا أنها تغوص في العقلانية المادية التي تستند إلى الثنائية الصلبة.

وعرج المسيري في معالجته للدوال في الفكر الغربي خاصة على الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" (1844- 1900) في قوله: "قد حاول نيتشه مع نهاية القرن 19م وبداية مرحلة السيولة وما بعد الحداثة والمادية الجديدة أن يحل معضلة علاقة الدال بالمدلول بنفس الطريقة التي ترفض الثنائيات ولكن عن طريق إرادة القوة التي تربط بين الدال والمدلول وتفرض المعنى على الدوال وبدل من دولة التنين ظهر السوبرمان والشعوب الجرمانية"[2]، ولعل المسيري يريد تأكيد أن نيتشه أعطى للدوال معنى القوة وهذا المعنى بالتأكيد لا يحمل في نفس الوقت ما يسمى باللامعنى، والمعنى الحقيقي حسب المسيري هو الذي يتجذر من الإنسانية المشتركة وإدراكه لهذه المعاني وغايتها، ونيتشه خاض كثيرا في القوة والنسبية والصيرورة، وهو بكل تأكيد يرى بانفصال الدال عن المدلول.

كما فعل دعاة ما بعد الحداثة الذين يؤمنون بهذا الإنفصال بين الدوال ولعلّ هذا الإنفصال يعود إلى عدة أسباب أبرزها: "وقد واكب كل ذلك تزايد معدلات انفصال العلم الطبيعي عن القيمة والتجريد عن العقل، بحيث اصبح التجريد المنفصل عن اي غاية انسانية او اخلاقية، هدفها في حد ذاتها تزايد معدلات الاستهلاك، الى تحول استهلاك والانتاج كل هذا نجم عنه انفصال حقائق عن القيمة"[3]، ويعود سبب هذا الانفصال الى فقدان العلم مرجعيته الأخلاقية، والقيم الإنسانية التي فقدها بتطور الآلة والوسيلة، وأصبح الإنسان في هذه الحالة بعيد كل البعد عن الغاية في الوجود، وبهذا

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، المصدر السابق، ص 138.

[2] المصدر نفسه، ص 139.

[3] المصدر نفسه، ص 139.

من المحتم انفصال هاته الحقائق على القيم الانسانية التي كان يتميز بها، ويعرج المسيري في تعقيبه على هذه الأسباب التي جعلت الدال والمدلول ينفصلان " تم ترشيد اللغة وتحديدها في المجتمع الحديث مثلما تم ترشيد وتجديد معظم جوانب الحياة، فاللغة في المجتمع الصناعي أصبحت لغة واحدية، تشير الى اشياء محددة فهي مجرد اداة للتعبير عن الافكار العملية والمعدلات الرياضية وعمليات البيع والشراء والاعلام والتقاعد القانوني والاوامر اصبحت لغة بيروقراطية "[1].

ويتبين لنا من خلال هذا القول التحول الكبير الذي شهدته اللغة، بانتقالها من التفاعل الإنسانية مع بعضها البعض وتفاعلها مع الطبيعة إلى لغة صناعية تعتمد على الأداة، وبهذا خرجت اللغة من حيزها الضيق بحيث كانت تتمركز حول الأفكار العملية فقط، وغاص الإنسان في لغة إعلامية من بيع وشراء وسيطرة الصحف العالمية التي عبر عليها المسيري بأنها هي "التي تقول كل شيء ولا تقول شيئا"[2]، ومع التزايد الكبير للصناعة أصبح الإنسان عبارة عن وسيلة يعبر عن نفسه بطريقة غير مباشرة، لأن الإنسان في الحضارة الغربية دخل فيما يسمى بالكم وبذلك ابتعدت اللغة عن التعبير على معناها المعهود، مكتفية بذاتها، في هذا السياق يرى المسيري أنه "في علم اللغة أصبحت اللغة هي مرجعية ذاتها مكتفية بذاتها ولا مضمون لها وابتعدت اللغة عن المعنى وهذا ما يتم التعبير عنه بالتعبير انفصال الدال والمدلول أو اللغة تسبق الواقع"[3]، وهذا التعبير شامل لما ذكرناه سابقا عن انفصال الدال والمدلول وسيطرة الطابع المادي على اللغة، وبذلك أفرغنا الدوال من مضمونها.

فبالرغم من الثورة التي أحدثتها البنيوية في تأكيد دورة عقل الإنسان على التوليد والإبداع، فهي تستبعد ذاتية الإنسان وتستبدلها بالمجرد والهندسة، "حتى أن البنيويين يتحدثون عن أن البنية تتحدث من خلال الإنسان وليس الإنسان هو الذي يتحدث من خلال البنية، أي أن البنية هي التي تسبق العقل شأنها في هذا منطلقات أخرى مثل اللغة والجسد والجنس"[4]، فلثورة البنيوية أبعادا أخرى

[1] المصدر السابق، ص 144 .

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 146.

[4] المسيري، المصدر السابق، ص 137

تتمثل في ترجيح البنية عن الإنسان وتسبيقها على العقل الإنساني، حتى أنها ألغت في ثورتها الوضعية المنطقية فحسب اعتقادهم أن النزعة الإنسانية تكمن في الثورة البنيوية وهذه أحد المنطلقات لمشروع "دي سو سير" اللغوي، وتوسيعها في كل مجالات الإنسان وأنشطتها المختلفة، وهذه محاولة لتوسيع الإنفصال بين الدال والمدلول وإحداث فجوة بينهما، وهذا هو الهدف الذي تسمو إليه البنيوية، يقول المسيري "تستمر هذه العملية إلى أن تصل إلى نهايتها حيث أنه لا حدود، فينفصل الدال عن المدلول تماما ويصبح لا مضمون له، فعالم المدلول هو عالم التشيؤ والبرجوازية محاولة الهروب من التسلح والترشيد الإجرائي تسقط هي ذاتها في التسلع والترشيد الإجرائي، فالدال الذي لا مضمون له يشبه السلع التي ليس لها سوى قيمة تبادلية، وتشبه الإجراءات التي ليس لها هدف أو مضمون إنساني"[1]، ويتضح لنا مما سبق أن انفصال الدال والمدلول أصبح دون مضمون، فقد علقت الدوال في التشيؤ وغرقت في اللامعنى بعد تزايد الإرشاد الإجرائي، ولعل الدوال أصبحت كتلك السلع التي لا قيمة لها مفرغة من أي هدف، وازدادت هذه الفجوة في عصر ما بعد الحداثة التي أصبحت فيها الدوال منفصلة عن المدلولات، وهذا ما أكده المسيري في قوله: "فما بعد الحداثة هي الرمال المتحركة التي تلعب فيها الدوال منفصلة عن المدلولات"[2].

ويوضح المسيري أن الدوال أصبحت بدون مدلولات ويعطي لنا مثالا آخر في هذا الإنفصال بين المدلولات في التراث المسيحي الذي بدأ شيئا فشيئا يفقد بريقه ومدلوله، وإن صح التعبير معناه الحقيقي ومضمونه اللغوي، وفي هذا يقول المسيري: "الختان وكونفش، بمعنى الاعتراف ولذا نشير إليها بكلمة (الختانعراف) والكلمة الأولى مرتبط بالتراث الديني اليهودي والثانية بالتراث الديني المسيحي الكاثوليكي، وحينما يختلط الختان بالاعتراف فإن كل من اليهودية والكاثوليكية تفقد مضمونها وتصبح الدوال بدون مدلولات"[3]، وفي هذه الحالة يطمس معنى اليهودي وتصبح بدون مدلولات، حيث تظهر في الافق سطحية الاسم فقط، بمعنى يؤكدون أنهم كاثوليكيون بالاسم ويتصورون في نفس

[1] المصدر السابق، ص 138.

[2] المصدر نفسه، ص 157.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الوقت أنهم يهود،، لذلك فرقوا بين ما يسمى العدمية التي تقيم أن لاهوتية ولا أي جذور، وفيما بعد ظهر الكثيرون في صفوفهم مثل سبينوزا وريكاردو، وأخيرا جاك دريدا، كل هذا التراث ساهم في أبعاد الاسم عن المسمى، وإفراغهم من كل المعاني التي تدل على مسيحيتهم فهي مثل الدوال وهذا مثال يتضح مدى الإنفصال بين الدوال.

3/ الدوال في المنظور التوحيدي:

على عكس المنظور الحلولي، تؤكد المنظومات التوحيدية على الانفعال والإنفصال بين الدوال مع تأكيد على المسافة التي توجد بين الدوال، وهنا تكون اللغة صالحة للتواصل، و"الانفصال والإنفصال في هذه الحالة ثمة مسافة بين الواحد والآخر ولكنها ليست هوة، إذ توجد نقطة مرجعية نهائية يتصل من خلالها الدال بالمدلول، وهي المدلول المتجاوز، ليس جزء من اللغة فوجوده يسبق وجودها، وهذا يفترض استقلال الفكر عن اللغة، واستقلال اللغة عن الواقع، ولكنه يعني ايضا أن اللغة أداة صالحة للتواصل، فهي تشير إلى الواقع رغم وجود مسافة بينهما، وهذا يعني أن العقل قادر على معرفة الواقع والتعامل معه"[1]، فالعلاقة الموجودة بين الدال والمدلول، تظهر لنا جليا بوجود ثلاث حالات أساسية فالأول يكمن في مدج المقولات إلى مقولة واحدة، والثاني يظهر في الإتصال والإنفصال بين الدوال، الذي يعبر بشكل كبير عن إزالة مسافة بينهما، وهذا ما يحيلنا إلى القول بإلغاء العلاقة بين الواقع والعقل ونفيها بشكل كبير.

وبالإشارة إلى الدال والمدلول، يظهر لنا وجود ثنائيات أخرى داخل وخارج النص وبهذا يؤكد المسيري في أن "ثنائية الدال والمدلول يشير إلى ثنائيات أخرى مثل: /لغة فكر// مضمون، خارج النص /داخل النص وسيلة/ غاية-منطوق/ مكتوب- وهذه الثنائيات متكاملة في النظم العقلانية رغم أن المدلول يسبق الدال، تماما كما أن المضمون والفكر هما الغاية والشكل واللغة هما الوسيلة"[2]، وتعبر هذه المقولة عن وجود علاقة قوية بين العقل بالواقع مثل الإنسان بالطبيعة أو الإنسان بالإله.

---

[1] المصدر السابق، ص 133.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لقد ظهرت مشكلة الدال والمدلول في التراث الإسلامي القديم خاصة عند الأشاعرة في تمييزهم بين الكلام النفسي والأزلي، وقد عرج المسيري على هذه المسألة في قوله: "وقد ميز الأشاعرة بين الكلام الأزلي والنفسي الذي هو معنى قائم بالنفس والدلالات التي تدل على هذا الكلام النفسي الأزلي القائم بذات الله سبحانه وتعالي من جهة، وبين ألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء، وما يرتبط بها من حروف وأصوات وجهة أخرى... فقالو بقدم الكلام نفسه المدلول بحدوث الألفاظ والحروف والأصوات (الدلالات) وخلقها، وقالوا إن المنزل على محمد صل الله عليه وسلم هو الألفاظ، التي هي لآلات على الكلام الأزلي القائم بالذات، فالمنزل محدث ومخلوق، ولم يحدث من جبريل "نقل لذات الكلام" وهذا يعني أن الدال والمدلول لا ينفعلان في كلام الإله، وأن الإنفصال يحدث فقط في حالة تنزيل القرآن"[1]، وما يتضح من خلال هذا القول أن هذا التمييز الذي قدمه الاشاعرة في فكرة المدلولات وما تحمله من أسماء وحروف ومقولات وأصوات، وبدون شك سبب اعتقادهم المدلول في الكلام أزلي وما نزل على النبي صل الله عليه وسلم هي مجموعة من الألفاظ، ويصف الكلام أنه قائم بحد ذاته، لأن الذي أنزله أزلي ومن هنا نستنتج أن كلام الله يحمل في طياته صفة جوهرية خاصة ما يتعلق بطبيعة الدوال الذي لا ينفصل في كلام الله، ويحدث الإنفصال حسب اعتقادهم في حالة واحدة وهي تنزيل القرآن، وفي نفس السياق يذهب"الشهرستاني" في هذه المشكلة إلى القول: "الألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الانبياء عليهم السلام ودلالات على الكلام الازلي، والدلالة محلق محدثة، والمدلول قديم أزلي، والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كالفرق بين الذكر والمذكور، فالذكر يحدث والمذكور قديم"[2].

الشهرستاني يؤكد على قدم المدلول وهذا يدل على شيء مهم هو أن كلام الله أزلي يحمل في طياته مجموعة من الدلالات.

وهذا يحيلنا إلى القول بأن الإتصال والإنفصال هو جوهر النسق التوحيدي فهو يدل على مفهوم المسافة ووجود ثنائية الخالق والمخلوق، بحيث تصبح اللغة أداة للتواصل بين البشر تحمل مجموعة

[1] المصدر نفسه، ص 164.

[2] المصدر نفسه، صفحة نفسها.

مـن المـدلولات الأساسـية وفي هـذا السـياق يسـير المسـيري إلى أن "علاقـة الـدال بالمـدلول في الإطـار التوحيـدي، فهـي علاقـة اتصـال وانفصـال بحيـث لا يلـتحم الـدال بالمـدلول، فالمـدلولات متشـابكة ، واللغـة فضفاضـة تصـبح متشـابكة تصـلح لتواصـل بـين البشـر رغـم عـدم كمالهـا"[1]، إن هـذه العلاقـة تسـمح للإنسـان أن يفهـم هـذه المـدلولات رغـم عـدم تكامـل اللغـة، فهـي في تواصـل مـع الآخـر وتفاعـل مـع الطبيعـة وبتجاوزهـا للحداثـة الـتي تطـرح بعمـق غيـاب كلـي للغـة وتقيـدها بقيـود الصـيرورة باعتبـاره هـو الشـيء الوحيـد الـذي يسـتطيع خدمـة مشـروعها المـادي للقضـاء علـى المـدلولات ومـا يؤكـد مـرة أخـرى أن علاقـة الـدال بـالملول تـرتبط بشـكل كبـير بطبيعـة الرؤيـة الـتي يتحـرك فيهـا الباحـث، وهنـا نقصـد الرؤيـة التوحيديـة والرؤيـة الماديـة، فإننـا لا بـد أن نلاحـظ مـدى الفـرق الجـوهري في هـذه المشـكلة، بمعـنى أن إشكالية العلاقـة بـين الـدال والمـدلول في الحضـارة الغربيـة ليسـت خاصـة بهـا فقـط، بـل تتعـدى إلى رؤيـة كليـة تقودنـا إلى تحديـد نـوع العلاقـة بـين الـدال والمـدلول، لأن كـل حضـارة لـديها تحليلهـا الخـاص الـذي يسـتطيع أن يبعـدها عـن الرؤيـة الماديـة، وهـذا مـا تفعلـه علـى سـبيل المثـال الحضـارة الإسـلامية، مـن خـلال رؤيتهـا التوحيدية وإعطاء اللغة معاني أكثر فتفتح للعقل البشري مجال للإبداع وتخلصه من بوتقة المادة الغربية.

4/ المجاز عند المسيري:

لقـد اسـتعمل المسـيري في دراسـاته المتعـددة الصـورة المجازيـة ، محـاولا الوصـول إلى رؤيـة يصـعب الوصـول إليهـا عـن طريـق مـنهج آخـر، يقـول المسـيري: "والمسـافة لا يمكـن عبورهـا، ولكـن يمكـن تقريبهـا وتحويلهـا إلى مجـال للتفاعـل عـن طريـق المجـاز الـذي يوسـع مـن نطـاق اللغـة الإنسـانية ويجعلهـا أكثـر مقـدرة علـى التعبـير عـن الإنسـان المركـب واللامحـدود، يـتم هـذا عـادة عـن طريـق ربـط المجهـول بـالمعلوم، والإنسـاني بـالطبيعي والمعنـوي بالمـادي واللامحـدود بالمحـدود وهـو ربـط لا يـنجم عنـه مـزج عضـوي، بينهمـا وإنمـا إعـادة تحويل الواحد منها إلى طريقة لاستكشاف الأخرى"[2].

إن المجـاز علـى حـد تعبـير المسـيري يحمـل قـوة إدراكيـة كبـيرة لـدى الإنسـان الـذي يجعلـه يطـور قدراتـه اللغويـة والتعبيريـة والخياليـة، ممـا يسـهل لـه ربـط الأشـياء بطريقـة سـهلة وبسـيطة، واكتشـاف أشـياء

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، المصدر السابق، ص 165.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

جديدة وأبعاد معرفية ولغوية واسعة لا حدود لها، ولعل هذا ما جعل المسيري يربط المجاز في كثير من المجالات على غرار السياسة الدينية والحضارية والفلسفة خاصة، وما جعله يشبه الدولة العثمانية برجل المريض في قوله: "ولأضرب مثلا أكثر إثارة وهو اصطلاح "رجل أوربا المريض" الذي كان يتواتر في الخطاب السياسي الغربي في اواخر القرن التاسع عشر، والإشارة هنا إلى رجل يحتضر ويعاني سكرات الموت، هو الدولة العثمانية"[1]، ويعرج المسيري في استعماله لهذه الصورة المجازية للتعبير عن حالة الدولة العثمانية التي تمر بحالة سيئة إلى الأسوأ، واستغلال الغرب لها.

كما استخدم في الموسوعة اليهود والصهيونية، منهج التحليل لصورة المجازية في تعبيره عن إسرائيل، وهذا ما نجده في المثال التالي يستعمل كلمات الشاعر الإسرائيلي "حايم جوري"، حيث يقول المسيري في هذا الصدد "هو أن الإنسان الإسرائيلي يولد في داخله السكين الذي يذبحه، كما بين أن التراب لا يرتوي، وهو مطالب دائما بالمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى، ومن هنا ظهرت أسطورة سمثون باعتبارها حالة حصار نهائية منغلقة لا يمكن الفكاك منها إلا بتدمير الذات وتدمير الآخر عبر نهاية تبيد الجميع"[2]، وهذه الصورة تعبر عن الدمار والضياع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني ومن معاناة وإراقة للدماء، فهم في حالة حصار دائمة وإبادة جماعية فلا يفرق العدو بين طفل ولا عجوز ولا شاب، كما استخدم صورة مجازية يتحدث عن الإنتفاضة الفلسطينية ضد الحركة الإسرائيلية، ويذكر بهذا الصدد أن "كلمة انتفاضة مناسبة تماما لوصف هذه الإستمرارية فهي صورة مجازية تبلور إدراك الإنسان الفلسطيني للواقع الصهيوني وهي مشتقة من فعل تقتص يعني نزع الغبار أو نحوه ولعل هذا وصف دقيق للاستعمار الاستيطاني الصهيوني"[3]

إن الصورة المجازية التي استعملها المسيري هي الإدراك الحقيقي لمعنى الإنتفاضة ضد الحركة الصهيونية، وتطهير بلادهم من أثر الإسرائيلية وهذا هو الشعار الذي استعمله شباب الانتفاضة الفلسطينية والتي علق عليها المسيري بقوله: "تغص المكان، أي نظر جميع ما فيه حتى يعرفه، وهذا

[1] المصدر السابق، ص 15

[2] المصدر نفسه، ص 25.

[3] المصدر نفسه، ص 121.

تكتيك معروف لدى شباب الانتفاضة، ويقولون أيضا لغص طريق، أي تطهيره من اللصوص"[1]، وهذا يدل على شجاعة الشباب الفلسطينيين في دفاعهم عن وطنهم، واستعمالهم لهذه العبارة خير دليل على حب الوطن والفداء والاستعداد من أجل تطهير بلدهم من العدو اسرائيل.

5/ المصطلحات:

ومن الصور المجازية التي اعتمدها المسيري في دراسته للمنهج في شتى المجالات استعماله للمصطلحات التي يحملها المجاز، ولذلك نجد المسيري يشن هجوما لاذعا على طريقة نقله للمصطلحات دون أن نعتمد على شيئين مهمين هما، إعمال العقل والإجتهاد في توليد المصطلحات، وعمل المسيري إلى تمحيصها كما دعا وبإلحاح إلى ضرورة الاتيان بمصطلح جديد مخالف للنظريات الغربية إذ يجب أن يحمل هذا المصطلح نظام عالمي، لهذا يقول المسيري: "ونفس التلاعب اللغوي من خلال تحييد المصطلح يظهر الاستعمار الغربي في المرحلة الحالية، فهو يسمى نفسه في الوقت الحاضر النظام العالمي الجديد"[2]، وهذا ما أكده المسيري في امتلاك مصطلحات بعيدة عن سيطرة النظام الدولي الذي يتلاعب بلغة الإنسان بحيث حولها إلى رؤية اقتصادية مادية.

ومن خلال هذا المثال يؤكد المسيري أن جل المصطلحات التي نرى بأنها عالمية هي مصطلحات متمركزة حول الغرب، ومن هنا كان لزاما علينا أن نتوجه إلى المعجم العربي لاكتشاف المعاني والدلالات اللغوية، وهذا ما أكده "رزان إبراهيم" في قوله: "اللجوء إلى دوال قديمة ضمرت مثل العمران والتراجم وغيرها للحديث عن الاجماع الانساني"[3]، ويشير المسيري إلى نقطة مهمة جدا تتعلق بالمصطلح الخاص بعقيدة أو مذهب ما، وما يجب فعله إزاء هذه المصطلحات التي تصل القارئ العربي لكي يفهمها كما هي لذلك يقول المسيري: "ولكن مع هذا توجد مصطلحات خاصة، عقدية ومذهبية مرتبطة بعقيدة ومذهب ما، لا بد من نقلها كما هي لعرض وجهة نظر الآخر فحينما يتحدث الصهاينة عن دعوة "الدياسبورا" "من المنحى" إلى أرض الميعاد وأرض الأجداد ويستخدمون

---

[1] المصدر السابق، ص121.

[2] المصدر نفسه، ص 156.

[3] رزان محمود إبراهيم: رحلة عبد الوهاب الفكرية، دار المقاصد والمنهج، ص32.

مثـل هـذه المصـطلحات فـنحن لا بـد أن ننقلهـا إلى القـارئ العـربي كمـا هـي حـتى وإن كانـت موضـع النقـاش، علـى أن نوجـه نظـر القـارئ إلى مصـطلح يحـوي مكونـا عقـديا (منظـورا لـه تحيزاتـه)"[1]،ويؤكـد المسيري في هـذا القـول علـى أهميـة نقـل المصـطلحات كمـا هـي لكـي يسـتطيع القـارئ العـربي فهـم واجهـات نظـر الآخـر، خاصـة تلـك الـتي تتعلـق بـالتحيز الغـربي في مصـطلحاته العقائديـة ولعـل هـذا مـا جعـل المسـيري ينقل للقارئ العربي هذه المصطلحات العربية والصهيونية كما هي دون زيادة أو نقصان.

6/ المجاز وإدراكه للإله:

إن المجـاز لا ينحصـر في قـدرة الإنسـان علـى إدراك وجـوده فقـط، بـل يتعـدى إلى إدراك الإلـه لأنـه يحمـل مجموعـة مـن الصـفات المتجـاوزة الـتي لا يسـتطيع الإنسـان إدراكهـا أو سماعهـا، فقـد أشـار المسـيري في هـذا الصـدد بقولـه: "فهـو ربـط بـين المحـدود الإنسـاني واللامحـدود الإلهـي"[2]، فـرغم محاولـة الإنسـان في الـنظم التوحيديـة إدراكـه فإنـه لا يسـتطيع لأنـه قاصـر و عـاجز عـن ذلـك ويظهـر في قولـه تعـالى **{لـيس كمثلـه شـيء }**،[3] وهنـا تظهـر قدرتـه سـبحانه وتعـالى الكامنـة في كـل شـيء ولعـل المجـاز كحـل نسـبي لفهـم صـفات الله تعـالى وتأويـل الرسـالة الـتي أرسـلها الله للإنسـان، فقـد قـال الله تعـالى: {**قـل لـو كـان البحـر مـدادا لكلمـات رب لنفـذ البحـر قبـل أن تنفـذ كلمـات رب ولـو جئنـا بمثلـه مـددا**}[4] ، ويؤكـد المسـيري في شـرحه للآيـة الكريمـة بحسـب منظـوره فيقـول: "فلـو أننـا اسـتخدمنا البحـر هـذا السـائل المـادي النسـبي الـذي سـتكتب كلمـات إنسـانية نسـبية للإشـارة إلى المـدلول الربـاني لعجـزت كـل الـدوال، لأن المـدلول الربـاني متجـاوز لكـل مـا هـو مـادي، وقـد اسـتخدمت الآيـة المجـاز (لـو كـان البحـر) لحـل معضـلة التواصـل"[5]، إن المـدلول الربـاني حسـب المسـيري لا يفهـم بطريقـة مباشـرة لأن الله تعـالى مفـارق ومتجـاوز للإنسـان، فالمجـاز لعـب دور مهـم في تفعيـل الفهـم الصـحيح للكلمـات الربانيـة، الـتي يسـتطيع بهـا الإنسـان التواصـل مـع ربـه،

---

[1] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، المصدر السابق، ص 215.

[2] المصدر نفسه، ص 157,

[3] سورة الشورى، الآية 11

[4] سورة الكهف، الأية 109

[5] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، المصدر السابق، ص 153.

ويمضي المسيري في تعبيره عن المجاز من خلال الآيات الكريمة التي توظف المجاز من أجل التعبير عن العلاقات المركبة للإتصال والانفصال والتواصل والتجاوز، وتظهر في آية أخرى في قوله تعالى: {**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء**}[2] ، ويقول المسيري مشيرا لهذه الآية الكريمة التي يبين فيها دور المجاز وتقريب الله من الإنسان، "إن البنية العامة للمجاز هنا هي تقريب الله من الإنسان، من خلال استخدام عناصر من عالم الإنسان المحسوس يتم الربط بينها وبين الله (الله مثل نور)، وتتم عملية الفصل وتأكيد التجاوز وعدم الكمون على نطاق مركبة"[1]، فالمسيري يؤكد على الدور الذي يلعبه المجاز في عملية التجاوز موضحا في الوقت نفسه الصورة المجازية نور على نور فهي تعبر عن صورة بعيدة عن الحلولية الكمونية المتجسدة في المادة بل تجسد المركزية المتجاوزة.

وعرج المسيري إلى التعبير عن ثنائية العالم الخالق والمخلوق، والإيمان بأن المجاز يؤكد وجود المسافة بين الخالق والمخلوق لهذا يقول المسيري: "ومن ثمة فالمجاز يصدر عن الإيمان بثنائية العالم، فهو صدى لثنائية التكاملية الأولى: ثنائية الخالق والمخلوق، فالمخلوق متميز عن الخالق، أي المجاز: أيضا تعبير عن إمكانية التواصل بين البشر، بكل ما يحملون من أعباء وأفراح وأحزان، فالمجاز يضيق المسافة الإدراكية التي تفصل الخالق والمخلوق، كما يضيق المسافة الإدراكية والعاطفية التي تفصل بين الإنسان واخيه الإنسان"[2]، يؤكد المسيري في هذه العبارات عن دور المجاز في تحديد التكاملية بين الخالق والمخلوق واستبيان المسافة التي تفصله عن خالقه والتواصل مع الله عز وجل، وقد شبه المسيري في إدراك المجاز للإله مثل الإدراكات العاطفية التي يتميز بها الإنسان كالفرح والحزن، وأشار المسيري إلى شأنهم في قضية ربطه المجاز بالنص المقدس حيث يقول: "وجود المجاز يعني استخدام النص المقدس

[1] المصدر نفسه، ص 159.سورة نور الآية 50

[2] عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز، المصدر السابق، ص 170.

رسـالة الإلـه المقـدس نـص توليـدي مركـب، متعـدد المعـاني والمسـتويات بعضـها ظـاهر وبعضـها كـامن"[1]، ويؤكـد المسـيري هنـا كمـا سـبقنا بالـذكر علـى توليـد المعـاني عـن طريـق الاجتهـاد مـن خـلال إدراكـه للطبيعـة المجازيـة للـنص المقـدس مـن ظـاهر وبـاطن، وتحديـد العلاقـة الموجـودة بـين الإلـه والإنسـان وبـين الـدال والمدلول.

في الأخـير نسـتنتج أن المسـيري أعـاد الإعتبـار للخيـال والمجـاز والحـس، مـن عمليـة إدراك العقـل لهـذه المبـادئ الأساسـية، بعـدما كانـت تحـت البسـيطة الماديـة الـتي حصـرت اللغـة في طابعهـا المـادي والعلمـاني، وفي تفسـيرها الحلـولي الرياضـي، البعيـد كـل البعـد عـن تواصـل الإنسـان بالعـالم الخـارجي، فالمجـاز حسب المسيري رؤية واسعة لإدراك الإله والإنسان لحقائق إلهية كانت مخفية عنه.

[1] المصدر السابق، ص 170.

المبحث الثاني: المعرفة عند المسيري

يعتبر المسيري من المفكرين الذين أبدعوا في شتى مجالات المعرفة منها الأدبية والفلسفية والنقدية خاصة علم الإجتماع واهتماماته بالقضايا الفكرية المنهجية ,وهذا ما مهد لوجود تصور وخريطة معرفية لهذا المفكر من خلال دعوته إلى العقل التوليدي وإعمال العقل ورفض الرؤية المتلقية، ومن هذه المعارف التي بحث فيها المسيري نتساءل ماهي الوضعية المتلقية؟ وكيف انتقل من هذه الرؤية إلى الوضعية الاجتهادية ودعوتها للعقل التوليدي؟

1/ الموضوعية المتلقية (الفوتوغرافية)

تعتبر الموضوعية المتلقية أحد النماذج المتراكمة لإدراكها للواقع كما هو، وقد أشار المسيري في تعريفها "الموضوعية الفوتوغرافية هي نموذج تحليلي يذهب إلى المعرفة عملية تراكمية تتكون من التقاط أكبر قدر ممكن من تفاصيل الواقع المادي كما هو تقريبا بصورة فوتوغرافية وإدراجها في البحث أو الدراسة دون الربط بين المعلومات ودون محاولة تجريد أنماط منها وقد عرف الموضوعي بأنه ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين"[1]، يؤكد المسيري في هذا القول إلغاء دور العقل في قدرته على الإبداع التي تؤثر لا محالة على العملية الإدراكية للعقل، ولعل تحديد المسيري في رفضه لنموذج الوضعية المتلقية هو تحوله الفكري في تأكيده على قدرة الإنسان على الإبداع وإمكانية تجاوز هذا النموذج فحسب رأيه الوضعية المتلقية تقتل طالب العلم وتدخله في متاهات التلقين لأنه حسب اعتقاده الموضوعية المتلقية، لا تستطيع الحذف والاختيار والتفخيم والتهميش، ويؤكد المسيري أن مرجعيته النهائية هي الواقع المادي ويتصوره كما هو، وبذلك هذه الرؤية تصل العلاقة بين الجزء والكل، والأنماط الظاهرة والباطنة الموجودة أصلا في العقل.

وعرج المسيري في موقف آخر ضد الموضوعية المتلقية، من خلال إظهاره للدارس والباحث الهفوات التي تنجر عليها الموضوعية الفوتوغرافية لهذا يقول: "إن الموقف الموضوعي المتلقي المعلوماتي ليس موضوعيا إنما هو موضوعاتي، بمعنى أن الدارس يكتفي برصد التفاصيل والموضوعات وتسجيلها دون أن يربط بينها ودون أن يبين ما هو المركزي منها وما هو الهامشي، وما هو المعبر عن النمط الكلي

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور، مصدر سابق، ص 242.

وما هو واقعة غير مثله وما يستحق الابقاء منها وما يستحق الاستبعاد"[1]، يرى المسيري في هذا القول الشكل السلبي الذي يتخذه الدارس في أبحاثه من خلال افتقاده لعملية الربط بين الأجزاء والكليات الصحيحة، فهو يركز حسب اعتقاده على الأشياء السطحية دون الولوج إلى لب الموضوع، فهو يقوم بحشو المعلومات ليس إلا دون مراعاة المعلومة المهمة والهامشية، فيكتفي فقط بالكليات وإهمال الجزئيات وهذا غير منطقي بالنسبة للباحث في ربطه للدراسات التي يقوم بها، وفي هذا الأمر جدد المسيري رفضه القاطع للموضوعية المتلقية التي عبر عنها "الموضوعية المتلقية أصبحت مرض العصر"[2]، التي اجتاحت خاصة الجامعات العربية منها، ويعقب المسيري في الأمر ذاته بقوله: "وتتضح سيطرة النموذج المعلوماتي على الجامعة في ظاهرة الإملاء التي أصبحت شكلا أساسيا من أشكال التعليم في الجامعة يفترضها الطلبة كما يفترضها الأساتذة وتصبح أساسا لعقد اجتماعي صامت بينهم، وإن حاول الأساتذة أن يغيروا هذا الاتجاه ويبدأ في إعطاء محاضرة حقيقية تتطلب الحوار وإعمال العقل يجد نفسه ضد التيار الأساسي"[3].

يؤكد المسيري بأن الحاجز الأساسي الذي نعاني منه هو غياب الحوار والبقاء في قفص الإملاء والتلقين، حتى أن الأساتذة يجدون صعوبات في إيصال الرسالة المطلوبة لأن عقلية الطالب شفرت على التلقين والإملاء لذلك ينعدم الإبداع، ويبقى الطلبة يدورون في بوتقة المعاني المحجرة دون تمحيصها وتفكيكها والبحث عن المعلومات والسؤال هو أهم عنصر لتفعيل العلاقات.

2/ الرصد المباشر:

يعرفه المسيري في قوله: "بنية تصورية يجردها عقل الإنسان من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق، يستبعد بعضها لعدم دلالتها من وجهة نظره ويستبق البعض الآخر وهذه العملية تدل في حد ذاتها على أن العقل الأناني ليس شاملا يتلقى الواقع بشكل سلبي مباشر، وإنما هو مبدع

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور، المصدر السابق، ص 243.

[2] المصدر نفسه، ص 242.

[3] المصدر نفسه، ص 251

وخلاق يعيد صياغة الواقع من خلال النماذج"[1]، يؤكد المسيري في هذا القول أن نموذج الرصد المادي للمتلقي ينكر دور العقل في توليد الأفكار والمعلومات، بل يكتفي فقط بوجود معلومات جاهزة دون القيام بأي جهد في نقدها والغوص في أعماق المعلومات، بحيث لا يفرق بين الظواهر الجامدة أو الطبيعية التي تطبق على الظاهرة الإنسانية، وقد تجاوز المسيري الرصد المباشر ورفضه في كثير من أبحاثه لما يحمله من سلبيات للعقل، والتي تكتفي بالرصد السطحي السريع، لهذا يعقب في هذا القول: "وتجاوز الموضوعية المتلقية والرصد المباشر كان هو ديدني في دراساتي وأبحاثي بما في ذلك دراساتي في الصهيونية"[2]، ولعل الرفض المتكرر في أبحاث المسيري هو عدم اكتشاف الموضوعية المتلقية والرصد المباشر لخبايا الصهيونية، التي تتطلب دراسة أكثر تعمق خاصة ما يتعلق بالمصطلحات ونقلها بصورة اجتهادية، وهذا ما دعي إليه وسنذكر لاحقا دور المصطلحات في فكر المسيري في المبحث الثالث.

3/ الموضوعية المتلقية والإعلام:

يعتبر الإعلام أحد الوسائل المهمة في إيصال المعلومة بشتى أشكالها المسموعة والمكتوبة، وتعتبر وسائل الإعلام العالمية والغربية خاصة أبرز ناقل لهذه المعلومات ولكن بطريقة جزئية للغاية مملوءة بالأكاذيب وغياب الحقيقة، خاصة ما يتعلق بالقضية الفلسطينية ويظهر ذلك في قول :عمر شرف" "يمثل الكثير مما يعرض علينا الإعلام الغربي من حقائق جزئية للغاية يطلق عليها"أكاذيب الحقيقة tvuelos" أي كلمة حق يراد بها باطل، فقد يعرض الإعلام حقائق ووقائع لا مراد فيها، ومع هذا يتم توظيفها بطريقة لا تتفق والحقيقة الكلية، ومن ثم هي أكاذيب فهل الموضوعية تعني أ نورد الأخبار كما هي رغم إدراكنا أنه تم انتقاؤها بعناية لأحفاد عشرات الأخبار الأخرى وتهميشها"[3].

يتضح لنا أن الموضوعية المتلقية حافز كذلك في الإعلام وهذا من خلال حشوها لمجموعة من المعلومات الجزئية وعرض حقائق مزيفة لا تتفق مع أخلاقيات الإعلام، فهم مقيدون بهذه الرؤية ونرى على سبيل المثال عندما يتناقل وسائل الإعلام خبر حول الكيان الصهيوني فتجدهم يتحدثون أنهم

---

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور، مصدر سابق، ص 274

[2] المصدر نفسه، ص 232

[3] عمر شريف: ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية قراءة في فكره وسيرته، فرست بوك للنشر، القاهرة، ط1، 2013، ص 186

عـادوا إلى أرض الميعـاد، والـدفاع عـن الـوطن ضـد العمليـات الارهابيـة الفلسـطينية في اعتقـادهم، وقـد عقـب الـدكتور علـى هـذا مـن خـلال سـقوط الإعـلام العـربي في فـخ المعلوماتيـة المتلقيـة، وأصـبحت مصـطلحاته غربيـة بحتـة، رغـم تلاعـب الكثـير مـن القنـوات بالمعلومـة ونشـرها علـى شـكل تسـلية وأبـرز هـذه القنـوات محطـة CNN حيـث يقـول: "ومـا زاد الأمـور سـوءا أن الإعـلام العـربي سـقط في الموضـوعاتية المتلقية إذ اكتفى بنقل المفاهيم الغربية بلا وعي أو إدراك"[1]

3/ الموضوعية الاجتهادية:

تعتـبر أحـد العمليـات الاسـتراتيجية الـتي اعتمـدها المسـيري في بنـاء تصـوراته لمـا تحملـه مـن طـابع إبـداعي في عمليـة البحـث حيـث تحمـل ثـلاث أسـس أساسـية، أبرزهـا هـو كشـف قـدرة الإنسـان علـى اسـتنباط ظـواهر لم يسـبق إليـه أحـد، إضـافة إلى الـربط بـين هـذه الظـواهر لكـي يسـتطيع تطبيقهـا ويكشـف عـن الوقـائع ويبـين سـر هـذه العلاقـات الجديـدة، ويعرفهـا المسـيري في قولـه: "ولـذا أسمـي هـذا النـوع مـن التفكـير "الموضـوعية الاجتهاديـة" في مقابـل الموضـوعيات المتلقيـة وتعـني ألا ينقـل الإنسـان الواقـع بحـذافيره كمـا أنـه... أو آلـة تصـوير بلهـاء، وإنمـا يعمـل عقلـه وخيالـه فـيربط بـين التفاصـيل ويجـرد (يسـتخلص) منهـا أنمـاط متكـررة تسـاعده علـى فهـم الواقـع بطريقـة أعمـق وأشمـل"[2]، يظهـر لنـا مـن خـلال القـول أن الموضـوعية الاجتهاديـة عنـد المسـيري تحمـل في طياتهـا الكثـير مـن الابـداع، فهـي مضـادة للموضـوعية المتلقيـة فهـي لا تنقـل الواقـع كمـا هـو بـل تفـتح آفـاق وأبعـاد للعقـل بتفاصـيله الواسـعة، الـتي يقـوم بربطهـا لكـي يسـتطيع أن يفهـم هـذا الواقـع بشـكل أوسـع لأن الباحـث في هـذه الرؤيـة يقـوم بغربلـة المعلومـات ويـربط بينهـا، ويسـتبعد مـا يجـب اسـتبعاده لكـي لا يقـع في الخطـأ، "لـذلك لا بـد أن نحـدد أولويـات مـا نرصـده مـن المعلومـات، أيهـا الجـوهري يسـتحق الإبقـاء وأيهـا فرعـي يسـتحق الاسـتبعاد مـن وجهـة نظرنـا نحـن بينمـا يقـوم باحـث آخر يتعامل مع القضية باستبعاد المعلومات ويراها الاول الابقاء"[3]

---

[1] عمر شريف: ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية قراءة في فكره وسيرته المرجع السابق، ص186.

[2] المرجع نفسه، ص 192

[3] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

يظهر لنا مدى أهمية الابداع وتوليد الأفكار وإعمال العقل، وهذا الإبداع يختلف من شخص إلى آخر لكن يسيرون على نهج واحد، وهي الموضوعية الاجتهادية.

أ/ النقد الأدبي في الموضوعية الاجتهادية:

بما أن عبد الوهاب المسيري متأثر بالأدب حيث استعمله في رؤيته الاجتهادية في ممارسة النقد داخل النص الأدبي، وهذا ما حاول تعليمه لطلابه في العملية النقدية والذي أكد أن جوهرها يتمحور في "عملية الاستنطاق" حيث يقول: "وفي محاولة ترسيخ هذه الرؤية وهذا المنهج في وجدان الطلبة والطالبات، كنت أخبرهم في درس النقد الأدبي بأن النص الموضوع لا ينطبق شيء بمفرده، وأن الناقد (الذات) لا يمكنه أن يتطيف شيء بمفرده، وأن العملية النقدية في جوهرها عملية استنطاق فالناقد إذن هو النقطة التي تتلقى فيها الذات (الناقد) بالنص (الموضوع النقدي)"[1]، يؤكد المسيري في هذا القول على ترسيخ الموضوعية الاجتهادية في فهم النص الأدبي، وما يخبئه من أسرار والغوص في النص من خلال التحليل وتجاوز السطح المباشر للنص، فالقصيدة مثلا لا يمكن أن نفهمها إلا إذا فهمنا المغزى منها واجتهدنا في تمحيص عباراتها , والناقد الأدبي الحقيقي هو الذي يعمل عقله ويولد أفكارا، وهذا ما أقره المسيري في قوله: "كما كنت أخبرهن بأنه في أثناء كتابة بحث يجب أن يدرب الباحث نفسه على استبعاد بعض المعلومات وهو أمر صعب"[2]

ويظهر لنا هنا مدى اهتمام المسيري في توجيه الباحث الأدبي وخاصة في استعاب المعلومات ومعرفة ما يجب كتابته بدون الوقوع في فخ الحشو للمعلومات خاصة فيما يتعلق بالنص الرومانتيكي الذي يظهر صعوبة فهمية إلا من خلال معرفة المعاني الأساسية لطبيعة وفهم كل شاعر وتوجهه لأن الرومانتكيين متأثرين بطبيعة أكثر من التقليد ونقل المعلومات كما هي، خاصة في الدراسات الغربية الحديثة وفي هذا الصدد يقول: "إن قمة مأزقنا الحضاري وهي الفقر في الإبداع والإسراف في التقليد، وإذا كان التقليد للسلف والغرب يصيب عقولنا بالكسل ويشيع روح الاستهلاك لبضاعة الآخرين، فلا اجتهاد مع نص غربي بدل معاناة الإنتاج، فإن طرق نجاتنا من هذه المأساة هو إحلال الإبداع

[1] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية بين الجذور والبدور,المرجع نفسه ص 271

[2] عبد الوهاب المسيري,رحلتي الفكرية ,المرجع نفسه ص271.

والاجتهـاد محـل الجمـود والتقليـد"[1], يؤكـد علـى ضـرورة الابتعـاد عـن التقليـد والغـوص في الفكـر الغـربي أو نقـل المعلومـات بـدون تمحيصـها أو تحليلهـا فلقـد دعـا إلى الاجتهـاد والابـداع لكـي يسـتطيع المجتمـع العـربي خاصـة النهـوض مـن محنتـه الـتي يسـودها الجمـود العقلـي والتقليـد، وهـذا التحـرر يـؤدي إلى مـنهج فكـري وتطـور حضـاري وكـل هـذا مرهـون بالاجتهـاد. ومـا يجـب الاشـارة إليـه أن القـرآن الكـريم يـدعو الإنسـان إلى تـرك التقليـد والتحـرر مـن الاعتقـادات السـابقة، يقـول الله تعـالى: {**وإذا قيـل لعـم اتبعـوا مـا أنـزل الله قـالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون ولا يهتدون**}[2]

فـالقرآن الكـريم يشـبه أولئـك المقلـدين بمـن ظـل عـن سـبيله لأنهـم بقـوا مقلـدين دون إعمـال بصـيرتهم أو التأمـل في الـنعم المحيطـة بهـم في الكـون، أو المعـارف الـتي يكتسـبها فهـي دعـوة ربانيـة صـريحة للإبـداع وإعمـال العقـل، فالموضـوعية الاجتهاديـة عنـد المسـيري تحمـل في طياتهـا مشـروع حضـاري يواكـب التقـدم والتحـرر مـن أي قيـود، سـواء كانـت هـذه مفروضـة عليـه أو توارثهـا بعـد اكتشـاف ضـعفها، فجـوهر الإنسـان المجتهـد عنـد المسـيري هـو الـذي ينطلـق مـن هـذه الرؤيـة الإبداعيـة، خاصـة فيمـا يتعلـق بالبحـث والتأليف وإنتاج إشكالية محددة حول الموضوع.

4/ العقل التوليدي:

يعتـبر العقـل التوليـدي أهـم مـا تحـدث عليـه المسـيري واسـتعمله في الكثـير مـن المحطـات الفكريـة، لمـا لهـذا العقـل مـن تكـريم ربـاني في الإسـلام لأنـه صـفة جوهريـة في الإنسـان وتتبـع تحليلـه للمعـارف، لـذا يقـول المسـيري: "ارتـبط فهمـي للموضـوعات الفوتوغرافيـة بـالنظر إلى العقـل باعتبـاره كيانـا توليـديا ولـيس مجـرد وعـاء مـادي متلـق للمعلومـات، فكـرة العقـل التوليـدي فكـرة أساسـية في المنظومـة الإسـلامية فالإنسـان يولـد علـى الفطـرة، أي عنـده قـدرات داخليـة ,كمـا أن هنـاك ممـا يـدل علـى أن عنـده قـدرات داخليـة علـى الشـر، والعقـل التوليـدي فكـرة مركزيـة في الشـعر الرومـانيكي"[3]، يؤكـد المسـيري في هـذا القـول علـى دور العقـل التوليـدي في تحليـل المعـارف، لأن الإنسـان لديـه هـذه الفاعليـة منـذ خلـق الله تعـالى الـذي يميـز بـين الخـير والشـر، لهـذا قـال الله تعـالى: {وهـديناه النجـدين}،كما يـرى الألمـاني "كـانط" في طبيعـة العقـل

[1] محمد عمارة: الابداع الفكري والخصوصية الحضارية، دار الرشاد، القاهرة، 1998، ص 50

[2] سورة البقرة: الآية 17.

[3] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، مصدر سابق، ص 237

البشري في تأكيده أنه ليس صفحة بيضاء فقط بل هو وعاء مزود بمجموعة من المعارف التي اكتسبها من خلال التجربة الحسية، وهذا يدل على دور العقل في تجسيد المعارف وتحريرها من الموضوعية المتلقية التي تشعر الإنسان أنه بعيد كل البعد عن إدراكه للمفاهيم التي يريد أن يفهمها ويبقى رهين السطحية، ويؤكد المسيري على قدرة العقل على الابداع والتوليد، يقول: "نموذج الموضوعية المتلقية فيه إنكار لمقدرة العقل على الإبداع والتوليد، فهو يفترض أن عقل الأديب والدارس يقف كالفقير أمام عتبات الواقع من الفتات وليس كالأمير يراد في كليته فيختار منه ويفككه ويركبه كما يشاء ليصل إلى تصورات أكثر تفسيرية"[1].

تؤكد هذه المقولة على ما ذكرناه سابقا من عدم إنكار دور العقل في التفكيك والتحليل ويفسر تلك التصورات التي يعتقدها ليصل إلى نتيجة ويؤدي به لإدراك عوامل أخرى، مثل الإنسانية المشتركة التي تؤدي في بعض الأحيان إلى الوصول لنفس النتائج رغم اختلاف المجتمعات، لأن هناك مقدرة في العقل التوليدي التي تظهر في التأثير والتأثر، وبهذا الصدد يقول المسيري: "وإنكار مقدرة العقل التوليدية وهو إنكار مرتبط تمام الارتباط بالموضوعية المتلقية والمعلوماتية، ويتبدى بشكل واضح في ظاهرة مرضية أكاديمية أخرى هي دراسة التأثير والتأثر"[2]، ويتبين من خلال هذا أن إنكار العقل التوليدي يؤدي بنا لا محالة للوقوع في تأثير المصطلحات المادية الغربية، وتقييد بالموضوعية المتلقية التي لا تتطلب أي اجتهاد أو إبداع.

وفي الأخير نستنتج أن المعرفة الحقيقية عند المسيري هي التي تتجذر في الإبداع والإجتهاد في تحصيل المعارف من خلال تحليلها إلى أجزاء، لكي نصل إلى النتيجة التي نريدها، ولعل رفضه المتجدد لوضعية المتلقي هو الواقع العربي الذي نعيشه من تقليد للفكر الغربي، في الإعلام والعلم والتربية حيث بقت عقولنا جامدة مقيدة خاملة خالية من أي إبداع في توليد المعرفة، لذلك دعا المسيري من خلال هذا المنهج الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من مشروعه الفكري الذي يبنى أساسه على العقل التوليدي، والنماذج كأداة لتحليل وهذا ما بيناه في الفصل الأول من خلال نموذجه المعرفي، ويتمحور العقل التوليدي والموضوعية الاجتهادية كنداء مفكر يحاول بناء الفكر العربي والاسلامي من جديد ويحرره من التبعية الغربية من خلال امتلاك عقل عربي

---

[1] عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993، ص22,.

[2] عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، مصدر سابق، ص230.

المبحث الثالث: الوجود والتاريخ

يعتبر مبحث الوجود أحد المباحث الأساسية في الفكر الفلسفي الذي أسال الكثير من الحبر، لأنه يحوي أهمية كبيرة على ساحة الوجود الإنساني وأصله ومكوناته، وهذا ما جعل المسيري يبحث في هذا الموضوع معرجا على ثنائية الجسد والروح والمادة، والأسس التي ينبع منها الوجود الإنساني، فما هي طبيعة الوجود عند المسيري؟ وكيف درس التاريخ من منظوره؟

1/ ثنائية الجسد والروح

في حوار خص به المسيري لأحد المجلات العربية يتحدث عن ثنائية الجسد والروح وهي نقطة جوهرية معبرا عن هذا الموضوع قائلا: "أنا أصر في دراستي من منطلق إسلامي يرتكز في رؤيته للحياة البشرية على الثنائية المتكونة من ثنائية الجسد والروح وهو ما يتميز به الإسلام عن سائر الديانات الأخرى كونه لا ينتزع منتزعا ماديا فحسب ولا ينتزع منتزعا روحيا وحسب وإنما يعتمد على التوازن في رؤيته للكون بين المادة والروح"[1]، ويؤكد المسيري أن الحياة الإنسانية تتكون من جوهرين مهمين لا يمكن أن نفصل بينهما، ويتمثلان في الجسد والروح، ولعل الإسلام هو أهم الديانات التي تدعو لإحداث التوازن بين المنظومتين فلا جسد دون روح والعكس، فالرؤية الكونية التي اعتمدها المسيري في دراسته لهذه الكونية هي التوازن بين المنظومتين رغم هجوماته على المادة من تشيؤ وتسلع التي أصبحت جزءا من حياتنا، واستشهد المسيري في هذه النقطة بقوله: "فمن جانب الدين الروحي المجرد اتهم الإسلام بأنه أكثر وصفا للطبيعة والواقع أكثر مما يجب وأنه متكيف مع الحياة الدنيا واتهم من جانب العلم أنه ينطوي على عناصر دينية وغيبية، وفي الحقيقة هناك إسلام واحد فحسب ولكن شأنه شأن الإنسان له روح وجسد فرغم التعارض يتوقف على اختلاف وجهات النظر، فالماديون لا يرون في الإسلام إلا دين غيب"[2]

---

[1] نقلا: نواف القدمي: حوار مع عبد الوهاب المسيري الحضارة الغربية تتجه نحو الكارثة وتحول الإنسان إلى جسد يبحث عن إشباع المتعة والرغبة، موقع أونلاين، مجموعة الإحياء، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص16.

ويتضح لنا الرفض المادي لفكرة الروح ورفضها للدين الإسلامي الذي يعترف بالروح والجسد لما له من قيمة كبرى في هذا الكون. فالماديون يجهلون فضل هذه الثنائية فلقد تاهوا في البحث عن الهوية والمركزية في هذا الكون واهتموا بالمادة والطبيعة وأهملوا الجانب القيمي للإنسان المتمثل في الروح، ويرد على هذه الفكرة علي عزت بجوفيتش بقوله: "إن الإسلام ليس دينا ودولة كما يقول البعض الذين وقعوا صرعى للتعريفات العلمانية الغربية والتي تعطي مركزية هائلة للدولة، بل هو دين ودنيا يتوجه للجانب الروحي والمادي في الإنسان"[1]، ويؤكد لنا دور الإسلام في تفعيل ذاتية الإنسان الروحية والجسدية لأنه دين يشمل كامل القيم، من خلال إبراز تفاعل الإنسان مع الطبيعة، وهذا أكبر دليل على الثنائية الموجودة في الإنسان التي لا نستطيع أن نفصل الأولى عن الثانية، على عكس الرؤية الغربية المادية.

وتطرق المسيري إلى دور ثنائية الخالق والمخلوق وثنائية الجسد والروح والتفاعل بينهما، بحيث لم يفصل بينهما وجعل المادة جزء لا يتجزأ من الوجود الإنساني على هذا الكون، وفي السياق نفسه يذهب بيجوفيتش مجددا رفضه للمادية ودعمه للرؤية الإسلامية والتوحيد بين الروح والمادة وتجاوزه للمنظور المادي "فثمة رؤية ثالثة تعترف بالثنائية الإنسانية وتحاول تجاوزها عن طريق توحيد الروح والمادة وهذه هي الرؤية الإسلامية، إن الإسلام يخاطب كل ما في الإنسان ويتقبله ويرى علي عزت بيجوفيتش أن الإسلام وجد قبل الإنسان وهو كما قرر القرآن بوضوح المبدأ الذي خلق الإنسان بمقتضاه ومن ثمة نجد انسجاما وتطابقا فطريا بين الإنسان والإسلام لأن الإنسان وحدة الروح والجسد كذا الإسلام فهو أيضا وحدة بين الاتجاه الروحي والنظام الإجتماعي"[2]، ويتبين لنا من خلال هذا التعبير أن ثنائية الروح والمادة عبارة عن مكملات لبعضها، ودين الإسلام أكبر داع لهذا الكيان الواحد من خلال القرآن الكريم الذي يوضح لنا الغاية من وجود الإنسان في هذا الكون والتأكيد ليس وحدة منفصلة عن بعضها البعض، بل هو وحدة الروح والجسد والتوازن بين النمطين، "فهذا القدر من الزهد أريد به

[1] نواف القدمي: حوار مع عبد الوهاب المسيري الحضارة الغربية تتجه نحو الكارثة وتحول الإنسان إلى جسد يبحث عن إشباع المتعة والرغبة، موقع أونلاين، المرجع السابق، ص 17.

[2] عبد الوهاب المسيري: مقدمة لقراءة علي عزت بيجوفيتش، موقع المسيري، ص13.

تحقيق القدر من التوازن في غرائزنا أو توفير نوع من التوازن بين الجسد والروح"[1]، إن هذا التوازن يحقق نوعا من التكاملية بين الجسد والروح لكي لا يقع الإنسان في فخ المادية التي تقتل الروح والقيم، وهذا راجع بنسبة كبيرة إلى سوء فهم الفكر الغربي لحيثيات الدين ومازال هذا الرفض ساري المفعول إلى يومنا هذا في رفض الدين الإسلامي وثنائية المادة والخالق والمخلوق.

2/ التاريخ:

إن الدراسات التي قام بها المسيري للفكر الصهيوني أعطت له أبعادا تحليلية في نفي مصطلح نهاية التاريخ من خلال تحديد علاقة الحلولية ووحدة الوجود بنهاية التاريخ وفلسفة التاريخ الصهيونية، بحيث يعتبر هذا المصطلح نهاية التاريخ من المفاهيم التي بحث فيها المفكرون واختلفوا في تسمياته ورجح المسيري سبب هذا الاختلاف إلى الاخفاقات المستمرة لفكر الإجتماع الغربي في تطوير العلمانية الشاملة، "وعبارة نهاية التاريخ بالانجليزية end of historiy عبارة تعني أن التاريخ بكل ما يحويه من صيرورة وثبات وشوق وإحباط ونبل وخساسة سيصل إلى نهايته في لحظة ما فيصبح سكونيا تماما خاليا من التدافع والصراعات والثنائيات والخصوصيات، إذ أن كل شيء سيرد إلى مبدأ عام يفسر كل شيء لا فرق في هذا بين الطبيعي والإنساني وسيطر الإنسان سيطرة كاملة على بيئته وسيجد حلولا لمشكلته"[2]، ويتضح لنا أن التاريخ في الفكر الغربي يعج بالصيرورة ويحمل في طياته نهاية محمولة بالإحباط وهنا نرى أننا نسير في جهة واحدة خالية من الثنائيات المعروفة في وجود الصراع والتدافع، فالعالم أصبح تحت قبضة الصيرورة والجوهر الكامن "مبدأ الواحدية" بحيث تلغى كل الفر وقات الجوهرية بين الإنسان والطبيعة ويصبح الإنسان سيدا في إطار الترشيد المادي والطبيعي.

ويشير المسيري لهذا المفهوم في وجود اختلاف واضح بين المنظومتين الحلولية والتوحيدية فالأولى تحمل في طياتها المفهوم الحلولي الدنيوي والثاني يحمل مفهوم يوم القيامة الذي يقع خارج المنظور الزماني، "فيوم القيامة نقطة تقع خارج الزمان في الأخير وهو ما يعين الزمن التاريخي لن يصبح في يوم من الأيام خاليا من الصراع والتدافع أي أن هناك ثنائية لا يمكن أن تمحي أو ترد إلى غيرها أما

[1] المصدر السابق، ص 14.

[2] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج1، مصدر سابق، ص 134.

نهاية التاريخ فتحقق داخل الزمان وعلى الأرض"[1]، ويتضح لنا في هذا المنظور التوحيدي أن يوم القيامة عبارة عن تصور موجود لكنه خارج الزمان يحمل صراعات ثنائية وهذه الأخيرة بدورها لا نستطيع أن نمحها لأنها متجذرة من الخالق، فنهاية التاريخ إذن تدور في دائرة الوجود والزمن الإنساني الذي يقبع على هذه الأرض والذي لا يتحقق إلا بوجودهما الزمن والإنسان والوجود.

وعلى عكس هذه المنظومة ترى المنظومة الحلولية في نهاية التاريخ ووحدة الوجود أن "النظم الحلولية نظم مغلقة تفضي إلى نهاية التاريخ ففي ووحدة الوجود الروحية يحل الإله في الطبيعة وفي الإنسان فيستوعبها في ذاته ويصبح كل شيء تعبير عن الإله وتجسيدا له ولا موجود إلا هو فينتهي التاريخ ويلغى الزمان ويتحول إلى دورات متكررة بدايته تشبه نهايته فكل دورة كونية تشبه الدورات الأخرى، فهو عود أبدي رتيب"[2]، فالحلولية تقضي على جوهر الزمان والمسافة التي يحل الإله الإنساني والطبيعة ويصبح على مبدأ واحد على حد تعبيره، ويستوعب الإنسان من خلال هذا الحلول أن وجود الإله لا يوجد إلا من خلال الطبيعة والإنسان، فهذه المنظومة بلورت هذا الاسم إلى قانون الحركة والضرورة وفي هذه التسمية أحدثت عدة اختلالات في المنظومة الإنسانية خاصة ما يتعلق بالتاريخ، "من خلال إعادة التسمية إلى وحدة وجود مادية معادية للإنسان ولاستقلالها عن عالم الطبيعة المادة من حوله ومعادية للتاريخ مجال حرية الإنسان وساحة نجاحه وإخفاقه"[3]، إن هذه التسمية تقتل التاريخ وتحرفه عن مساره لأن الجوهر الحقيقي للتاريخ كامن في الإنسان والطبيعة، ولو حدث وألغينا هذين الجوهرين فإننا نغرق بلا شك في المادية ونقضي على الإبداع الإنساني الذي يعبر على كامل حريته الفكرية وتحديد مسار نجاحه في المستقبل.

ولو تأملنا مرة أخرى حول إشكالية "نهاية التاريخ"، لوجدناها متأصلة من فكرة دينية وفلسفية غربية بحتة تحولت فيما بعد إلى لب موضوع الحضارة الغربية خاصة منها الفكر المادي الرياضي الذي يرفض رفضا قاطعا أي نوع من التاريخ، "فالفكر المادي الرياضي الآلي يرفض تنوع التاريخ وجدليته

[1] المصدر السابق، ص 134.

[2] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج1، المصدر السابق، ص 134

[3] المصدر نفسه، ص 139.

ويحل محل عالما بسيطا آليا يتحرك كالآلة أو الساعة الدقيقة وتتحرك فيه الأجسام الإنسانية كالأحجار المندفعة ويصبح عقل الإنسان صفحة مادية بيضاء ويصبح الإنسان في نسق آلة وبسطتها، وتتضح إشكالية نهاية التاريخ بشكل متبلور مع فكرة "اليوتوبا التكنولوجية" والتكنوقراطية التي تنسلخ عن التاريخ الإنساني"[1]، فإشكالية نهاية التاريخ تدخل شيئا فشيئا في لإطارها الآلي والتكنلوجي حيث تشكل جزءا من الاستمرارية الانسانية، ويتضح لنا من هذه الفكرة أن الإنسان بدء يدخل في مرحلة المادية ويبتعد عن القيم الروحية الفطرية، ويعود السبب الرئيسي لذلك بتطور التقنية. وببساطة نستطيع ان نقول انسلخ عن تاريخ الإنسان، وبذلك هذه الرؤية تقدم لنا معنى يدل على ارتكاز هذه الرؤية على القوانين والعالم الطبيعي وتهمل القوانين الإجتماعية والتاريخية والإنسانية، فهي تخرجها من دائرة اهتماماتها وتحاول بشكل علني أن تؤسس لمفهوم آخر يسمى بالفردوس الأرضي وإنهاء مصطلح التاريخ، وهذه الفكرة تناولتها حركة الاستنارة في تحديدها لرفض هذا المفهوم.

"ويظهر رفض التاريخ بطريقة أكثر تركيبا في فكرة حركة الاستنارة التي تنفرد لها بلحظات تمركزه حول العالم وتهميشه الإنساني والخاص وينطلق هذا الفكر من تأكيد أن التاريخ نشاط إنساني فهو ثمرة عقل إنساني وهو مستودع حكمته ولذا فهناك نزعة في فكرة الاستنارة لتمجيد التاريخ، لكن قوانين العقل هي نفسها قوانين الطبيعة والمادة والحركة والعقل المستنير لا يستمد معياريته إلا من دراسة الطبيعة والمادة والحركة"[2]، وعليه يتبين أن التاريخ في فكر الاستنارة أعطى للعقل أبعادا في تأكيد أنه ذو بعد ونشاط إنساني ولكن هذا النشاط منحصر في فهم القوانين المادية فقط التي تؤكد أن التاريخ يمشي بدون غاية ولا هدف، وهذه الفكرة تتجاوز الفكر التقليدي الذي يرى بأن بؤرة التاريخ يحركها التوجه الإلهي من خلال دعوتها إلى تطبيق هذه القوانين الطبيعية في التاريخ.

وفي الأخير نخلص إلى أن المسيري أكد على دور الوجود الإنساني في الكون، والذي يتمحور على ثنائية الجسد والروح والمادة التي تعتبر إحدى تجليات التطور الحضاري الإنساني كما علق على دور هذه الثنائيات في استشهاده بالدين الإسلامي الذي أحدث توازنا بين المنظومتين الروحية والمادية، وأكد أن التاريخ مر بعدة مراحل خاصة فيما يتعلق بالمفهوم والاختلاف الموجود في رؤية هذا المصطلح بين الحلولية والتوحيدية.

---

[1] عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج1، المصدر السابق، ص 139

[2] المصدر نفسه، ص 151.

المبحث الر ابع: تقييم ونقد

لقد عالج المسيري الكثير من القضايا الفكرية والفلسفية خاصة ما يتعلق بالرؤية المادية للغرب كما اشتغل بنقد الحداثة بوجه عام، فقد سعى إلى تبيان دور الحضارة لإسلامية التي تقوم على التوحيد والكتاب والسنة، وتعمقه في العلمانية الشاملة والجزئية بمنظور حلولي كامل في فكره الإسلامي، ولكن وجهت له العديد من الانتقادات لفكره التوحيدي ودراسته للحلولية الغربية.

من المعروف أن المسيري حاول أن ينحت مصطلحات خاصة به وبالحضارة الإسلامية بعيدا عن التقليد الغربي، وهذا ما بينه في موسوعته اليهودية والصهيونية باستعماله النموذج التفسيري، لكنه وقع في فخ التقليد للمصطلح الغربي، وحاول أن يلبسها لباسا بمنظور إسلامي عربي، وفي هذا يقول الحجاج أبو جبر: "لكن النماذج التفسيرية التي قدمها المسيري للقارئ العربي استقبلها الكثير من الباحثين في مصر والعالم العربي في عدد من المؤتمرات والندوات والإصدارات على أنها خطاب إسلامي جديد لاسيما أن المسيري لم يعبر عن واقع العرب والمسلمين بمصطلحات مستمدة من التراث العربي الإسلامي وإنما استلهم التراث الغربي النقدي ووضعه في لغة بدت جديدة تماما لغير المختصين الذين ما زالوا يرددونها من دون تمحيص"[1]، ويتضح لنا أن الخطاب الإسلامي الذي كان يردده المسيري يحمل في ظاهره مصطلحات مستقلة عن الفكر الغربي لكن المتأمل في باطنها يلحظ أنها مستمدة من مصطلحات غربية، ولعل هذا ما أغفله المسيري في تحديده للمصطلح وما أغفله كذلك الباحثين له في اعتقادهم أنه لدينا مصطلحات جديدة وقاموس خاص بالتراث العربي.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن نقطة مهمة في أبحاث المسيري التي لا نجد نقدا واضحا لمقالاته فهي عبارة عن سرد لحياته الفكرية والمهنية، وهذا ما يظهر في كتاب عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، من خلال تأكيدهم أنه أتى بمشروع إسلامي وهذا خطأ كبير فالمسيري سعى إلى نقد الحداثة الغربية ولم يؤسس لمنتوج فكري وفلسفي عربي إسلامي مستقل، "لم يقدم المسيري مشروعا إسلاميا ولم يطمح لذلك مطلقا إنما قدم نقدا ثقافيا للحداثة الغربية"[2]، ويتضح لنا جليا أن المسيري

[1] حجاج أبو جبر: قراءة في استقبال عبد الوهاب المسيري، منتدى العلاقات الدولية، ص2.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

رغـم دراسـته للفكـر الغـربي وتقديمـه لمشـروع جديـد إلا أنـه وقـف علـى أرضـية الخطـاب الغـربي النقـدي للعلمانية، وكان اعتقاده تفوق الرؤية الإسلامية وعلوها لكن لم يتحقق ذلك.

يقـول عبـد الوهـاب المسـيري: "أفضـل ألا أسـتخدم كلمـة بـديل لخطـاب الإسـلامي اسـتوعب كثـيرا مـن مقـولات الخطـاب القـومي العلمـاني والخطـاب الماركسـي فالإسـلام شـئنا أم أبينـا هـو جـزء أساسـي مـن مكونـات الشخصـية العربيـة وتاريخهـا، وباعتقـادي أننـا يمكـن أن نطلـق علـى الخطـاب الإسـلامي صـفة الخطـاب القـومي الإسـلامي كمـا أن العـدل هـو القيمـة القطـب في الإسـلام وهـو أيضـا أهـم أبعـاد الماركسية"[1]، مـن خـلال هـذا يتبـين لنـا أن المسـيري رغـم الابعـاد الإسـلامية الـتي كـان يـدعو إليهـا في منهجـه الإنسـاني لم يسـتطع إزاحـة فكـرة العلمنـة مـن قاموسـه رغـم اعترافنـا بمشـروعه وتغـني الكثـير مـن البـاحثين بهـذا البديل القوي، لكن الحقيقة تؤكد عكس ذلك.

وفي سـياق متصـل "اصـطدم المسـيري بمنهجـه في مرحلـة التأسـيس للفكـر الإسـلامي العلمـاني عنـدما أكـد أنـه لا يوجـد تعـارض بـين العلمانيـة الجزئيـة والرؤيـة الإسـلامية، لكنـه لم يسـتطع أن يقـول أن الإسـلام السـني علمـاني بـالجوهر"[2]، فالمسـيري رغـم محاولتـه اقنـاع القـارئ العـربي بالعلمانيـة الجزئيـة ورغـب فيهـا بطريقـة غـير مباشـرة، وهنـا نـرى في هـذه الـدعوة تعـارض بـين العلمانيـة والإسـلام لأنـه في هـذه الحالـة حـاول أن يقـرب مصـطلحا يحبـذه هـو فلـم يـنجح في ذلـك لوجـود التعـارض في الـرؤيتين لأن العقـل العـربي الإسلامي يملك رؤية إسلامية خالصة.

كمـا أن الإبـداع والخصوصـيات الـتي يتغـنى بهـا المسـيري في فكـره خاصـة المفـاهيم الـتي يطرحهـا والـتي اسـتمدها مـن عديـد المفكـرين بخاصـة "مـاكس فيـبر" عـالم الإجتمـاع الألمـاني الـذي أدخلـه المسـيري في ثنائيـة العلمانيـة الشـاملة وتحليلـه للصـيرورة، فهنـا لا نجـد فكـرا مسـتقل نـابع مـن دراسـة المسـيري، "فالثنائيـات الـتي أدخلهـا المسـيري في مقارنتـه للعلمانيـة في التفريـق بـين الجزئيـة منهـا والشـاملة قـد طورهـا عـالم الإجتمـاع مـاكس فيـبر في تحليلـه للصـيرورة، فالعلمانيـة الـتي سماهـا المسـيري شـاملة يـدعوها فيـبر بنـزع

[1] عبد الوهاب المسيري: الهوية والحركة الإسلامية، تح: سوزان حرفي، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 2010م، ص 51.

[2] حجاج أبو بكر: قراءة في استقبال عبد الوهاب المسيري، منتدى العلاقات الدولية، ص11.

الطابع السحري عن العالم قاصدا بذلك تجريد العالم من جميع أشكال القداسة"[1]، ولعل هذا يحيلنا إلى تأكيد هيمنة المصطلح الغربي على فكر المسيري بتغنيه بمصطلحات "الترشيد والعقلنة والوحدات الثابتة والعقل الأداتي، ويظهر لنا هذا فكرة مهمة مفادها أن النموذج المعرفي الذي تبناه المسيري مبالغ فيه حيث ربطها كلها باتجاهات مثالية وروحية.

"هناك مبالغة في إرجاع جميع الفلسفات خاصة الغربية واتجاهات المثالية والروحية إلى المرجعية المادية، أو النموذج المعرفي المادي الكامن كما يحلو للمسيري أن يسميه، واعتقد أن هذه المقاربات في القراءة هي مخلفات الإرث الماركسي الذي هيمن على المسيري في حياته السابقة قبل تحوله إلى تمجيد الأنوار الغربية"[2]، ويتضح لنا أن النموذج المعرفي المادي الذي دعا إليه المسيري هو اجحاف في حق الفلسفة الروحية الخالية من المادية، ولعل هذا راجع إلى البعد الماركسي الذي يحمله في إرجاع النموذج المعرفي الكامن إلى مركزية مادية اقتصادية، وهذا تحليل ماركسي بحت خاصة فيما يتعلق بالمشكلات الحضارية، وهنا يؤكد المسيري على العقل المادي في الفكر الغربي متجاهلا العقول الأخرى التي وصفها بالمادية مثل العقلانية والرومنسية والعقلانية النقدية الدينية والاستيطيقا والغرائزية، ويوضح لنا عبد الرزاق بلعقروز أن "العقل الغربي هو عقل مادي من منظوره، رغم أنه هناك عقول كثيرة تتمايز بتمايز الظروف والإيرادات التي طورتها الفلسفات المعاصرة"[3].

وهذا ما يؤدي بنا للحديث عن فكرة مهمة وهي النموذج الاختزالي الذي يؤدي بالضرورة إلى الرصد الموضوعي المتلقي، وهذا شيء مرفوض عنده، لكن نجد تناقضا في هذه الدعوة بحيث نجده وقع في فخ النموذج الاختزالي الذي يرفضه دائما، "وهذا ما يوقع المسيري في تناقض مضاعف من جهة أنه يناهض النزعة الاختزالية في التفكير، لكنه يقف على أرضها، والدليل على ذلك ثابت في كتاباته التي ينكر فيها مفردات اللغة الاختزالية كعبارات. وفي نهاية الأمر في التحليل الأخير ترد بأكملها إلى نموذج

[1] عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر "أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل"، دار العربية للعلوم، الجزائر، ص 75.

[2] المرجع نفسه، ص75.

[3] عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص 76.

واحـد"[1]، فتكـرار المصـطلحات الـتي أرجعهـا المسـيري إلى نمـوذج واحـد حسـب اعتقـاده العقـل التوليـدي الـذي يطلـق العنـان للعقـل في إبـداع أفكـار جديـدة، لكـن هـذا العقـل مقيـد بـالاختزال الـذي لم يتحـرر منـه خاصة في تثبيت المصطلح وتداوله، مثل التشيؤ التسلع والترشيد والثنائية الواحدية.

من خلا ل دراستنا لهدا الفصل نستنتج مايلي:

-تعتـبر لغـة عنـد ألمسـيري احـد الركـائز الأساسـية لتـوا صـل بـين البشـر والتفاعـل مـع الطبيعـة , خاصـة بمـا يتعلـق بالمجـاز في إدراكـه لله وفهمـه للوجـود , بحيـث قـدم لنـا المسـيري نموذجـا في إدراك العقـل للخيـال وإطـلاق العنـان لتصـوراته , كمـا عـرج إلي موضـوع الـدوال عنـد الغـرب مـن خـلال الفصـل بينهمـا وجعلهمـا كصـورة ماديـة محصـورة في طابعهـا العلمـاني الخـالي مـن التواصـل بـين العـالم الخـارجي الـذي يقضـي علـي الإنسـان, ولهـدا قـدم لنـا ألمسـيري نمـوذج لتصـورات المنظـور التوحيـدي في الاتصـال و الانفصال معاّ. ودور الذي تلعبه في المنظور الإسلامي خاصة بما يتعلق بوجود الإله وإفراده بالخلق.

ـ يعتـبر الموضـوعية الاجتهاديـة احـد الأفكـار الأساسـية الـتي تسـتند إلي عقـل التوليـدي في تحليـل المعـارف وبنائهـا وفـق منظـور جديـد خـالي مـن التكـرار و التلقـي الـذي يـودي إلي الوقـوع في الإطنـاب , فلقـد دعـي المسـيري إلي الاجتهـاد في البحـث العلمـي خاصـة والإبـداع وتـرك مايسـمي بـا الموضـوعية المتلقية التي تعرقل مسار العقل في اكتساب معلومات جديدة.

ـإن الوجـود عنـد المسـيري يتمحـور في ثنائيـة الجسـد والـروح الـتي لايمكـن إن نفصـل بينهمـا , وهـدا مـدعي إليه الإسلام في تكامل بين هده الثنائيات

ـ إن نهايـة التـاريخ يحمـل دلالات عديـدة خاصـة مـا يتعلـق بالصـيرورة عنـد المـادين الـدين قضـوا علـي تـاريخ الذي أسموه بالفردوس الأرضي.علي عكس المنظور الإسلامي الذي يحمل نهاية بيوم القيامة.

[1] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

خـــاتمـــة

خاتمة:

في الأخير نخلص من هذا البحث إلى جملة من النتائج:

إن التحـولات الفكريـة الـتي شـهدها المسـيري أدت إلى تـأثره بالماركسـية الـتي دامـت ربـع قـرن، قبـل تحولـه إلى النزعـة الإنسـانية والـدفاع عنهـا مـن خـلال نموذجـه التوحيـدي، فـالنموذج المعـرفي عنـد المسـيري يبحث عن إبراز حقائق وظواهر إنسانية تعمل على تنظيم معارفنا وإعادة هيكلتها بشكل جديد.

ولقـد اسـتعمل المسـيري في دراسـته الغربيـة الماديـة أدوات تحليليـة يسـتطيع أن ينقـدها بصـورة مباشـرة مـن خـلال رفـض مـا يسـمى بالرصـد المباشـر والـدعوة إلى الموضـوعية الاجتهاديـة وإعمـال العقـل في التحليل والاستنتاج وبناء معارف جديدة، وهذا باستعمال العقل التوليدي.

إن المنظـور المـادي الـذي يبـني آفاقـه علـى أسـس معرفيـة متكونـة مـن الجـوهر الواحـد، بمعـنى أن الإنسـان والإلـه والطبيعـة مكونـة مـن مبـدأ واحـد، بحيـث يحـاول أن يقضـي علـى الإنسـان ويقيـده بالطبيعـة الـتي لا يسـتطيع أن يتجـاوز قوانينهـا، فالإلـه والإنسـان في اعتقـادهم يخلـو مـن وجـود مسـافة بينهمـا، فـلا ثنائيـة بـين الخـالق والمخلـوق الـتي تنصـهر في الحلوليـة الكمونيـة الـتي تعتمـد أصـلا عـن الحيـاة الماديـة الـتي تجـرد الإنسان من القيم وتقضي على المقدس.

وفي الجهـة المقابلـة نـرى أن الرؤيـة التوحيديـة الـتي قـدمها المسـيري تحمـل في طياتهـا مجموعـة مـن الأسـس الـتي تعتمـد علـى مجموعـة مـن المبـادئ الأساسـية انطلاقـا مـن ثنائيـة الخـالق والمخلـوق والتأكيـد علـى وجـود المسـافة بينهمـا، والـتي لا يمكـن للإنسـان أن يتجاوزهـا مهمـا بلـغ مـن درجـة التعبـد، لأن الله هـو خـالق الكـون، وإفـراده بجميـع صـفاته مـن القداسـة وتوحيـد الإنسـان بهـا، وهـذا المنظـور يحمـل أسـس منهـا القرآن والسنة التي اعتمدها المسيري.

إن الرؤيـة الماديـة تحمـل في معانيهـا العديـد مـن المصـطلحات الأساسـية الـتي اعتمـد عليهـا مثـل الواحديـة الماديـة والثنائيـة الصـلبة والسـائلة والعلمانيـة الشـاملة والحلوليـة والإنسـان المـادي...الخ، وبالمقابـل الرؤيـة التوحيديـة تحمـل منظـورا دينيـا مقدسـا مـن خـلال تمجيـدها للمسـافة بـين الخـالق والمخلـوق والإنسـان الرباني والقداسة والثنائية.

إن المسيري يبني لنا نمط لتجاوز الحياة المادية وتحرير الإنسان من سيطرة الحلولية، وهذا التجاوز يحمل القدرة على الإبداع والتجديد خاصة الانفلات من قيود الطبيعة وإطلاق العنان إلى العقل.

عمل المسيري على نحت مصطلحات بالاعتماد على قاموس عربي خال من المنظور الغربي خاصة بما يتعلق بترجمة المفردات الأجنبية من خلال تمحيصها وتحليلها قبل الترجمة، كما عمل على تفسير النصوص الدينية خاصة القرآن الكريم وتأكيده على الرؤية الكونية لوجود الإله.

تعتبر اللغة إحدى المفاهيم الأساسية للتواصل بين البشر فقد عبر عليها المسيري بمنظور الدال والمدلول وتأكيده على الاتصال بينهما وانفصالهما في نفس الوقت، على عكس الفكر الغربي الذي يؤكد الإنفال التام بين الدال والمدلول، ويؤكد في موضوع المجاز على أهمية إدراكه خاصة في إثبات وجود الله والقراءات النصية للآيات لأن المجاز عند الإنسان هو أحد الأسباب الأساسية لمعرفة الإنسان لربه، وهذا ما نراه في العديد من الأمثلة التي قدمها لنا بين التوحيد ووحدة الوجود، في إثباته للوجود الذي يحمل في طياته ثنائية الخالق والمخلوق والجسد والروح التي لا يمكن الفصل بينها، إضافة إلى ثنائية الروح والمادة.

من خلال نقد المسيري للحداثة الغربية أكد على سلبياتها التي تمس الإنسان أولا والدين ثانيا وبهذا قدم لنا مشروع لتجاوز الفكر الحداثي الغربي المتمثل في مشروع إسلامي بديل، فهي نقلة نوعية للفكر العربي والإسلامي، فهذا المشروع مثال الاجتهاد والابتعاد عن التيارات التقليدية.

كما نستنتج أن البديل الذي قدمه المسيري في مشروعه التوحيدي, يحمل رؤية إنسانية وفي طياتها الكثير من القيم البعيدة عن النظرة المادية، هذه النظرة التي قتلت الإبداع الفكري والروحي للإنسان, وهذه دعوة صريحة لإقامة نهضة عربية إسلامية قائمة على الكتاب والسنة وهذا ما نراه في جل أفكاره طامعا أن يناهض به الحضارة الغربية في تطورها.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

أ/ قائمة المصادر

1. عبد الوهاب المسيري: الإنسان والحضارة، دار الهلال،ط1، 2002.
2. عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، دار الفكر، دمشق، 2009م.
3. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج 1، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002م.
4. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج2، دار الشروق، القاهرة.
5. عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز ووحدة الوجود، دار الشروق، ط1، 2002م.
6. عبد الوهاب المسيري: الهوية والحركة الإسلامية، تح: سوزان حرفي، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 2010م .
7. عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية والهدامة والسرية، دار الشروق، ط1، 1995.
8. عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2006م.
9. عبد الوهاب المسيري: دفاع عن الإنسان دراسة نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة، دار الشروق، مصر، ط2، 2003م .
10. عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمرة، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة، ط1، 2001م.

ب/ قائمة المراجع

1. أحمد بن عبد الله إبراهيم الريس: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي وموقفها منها، ج4، مكتبة البيان، 1998م.

2. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المجتمع العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1970م.

3. إسماعيل الفاروقي: إسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي، دار الفتح.

4. أشرف السعيد: إسرائيل تخلت عن منظومة من النيل إلى الفرات، عبد الوهاب المسيري، مجلة العالم الإسلامي، العدد 1812، رابطة العالم الإيديولوجي، السعودية، 2003.

5. جمال حمدان: اليهود الأنثروبولوجي، العدد الثاني، دار الهلال للطباعة، 1996م.

6. جمال حمدان: اليهود والأنثروبولوجيا، تق: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال، القاهرة، العدد 542، 1996م.

7. حجاج أبو جبر: قراءة في استقبال عبد الوهاب المسيري، منتدى العلاقات الدولية.

8. عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر "أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل"، دار العربية للعلوم، الجزائر.

9. عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993م.

10. محمد الديمني: معركة مع الصهيونية بدأت في الغرب وليست في الشرق، مجلة القافلة، 2002م.

11. محمد حسن هيكل: مصر لا لعبد الناصر، القاهرة، 1998م.

12. محمد صالح العثيمين: مجموعة فتاوي رسائل التحقق، ج1، باب التوحيد.

13. محمد صالح العثيمين: القول المفيد على كتاب توحيد، مج 1، دار ابن لجوزي، دط.

14. محمد مرسي شعبان: ملاحظات حول التفكيكية، مجلة الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، العدد 2، 2003م.

ج/ الموسوعات والمعاجم

1. المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، مصر

2. عبد الحليم الحنفي: الموسوعة الصوفية، دس، دط.

د/ المجلات:

1. حوارات مع عبد الوهاب المسيري، مجلة مراجعات، العدد 2، سبتمبر 2000م.

المواقع

1. موقع فلاسفة العرب: موقع الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحرير: سمير أبو زيد

المحتويات

الموضوعات **الصفحة**

شكر وتقدير

الإهداء

مقدمة

الفصل الأول: مرجعيته الفكرية ونموذجه المعرفي.....7

تمهيد:.....7

المبحث الأول: أصوله الفكرية..... 8

أ/ أثر الأدب في فلسفته:.....**9**

المبحث الثاني: المصادر العربية والغربية لفكر عبد الوهاب المسيري.....14

أولا: المصادر العربية.....**14**

1/ الوضع السياسي للعالم العربي:.....14

2/ الوضع الثقافي:.....**16**

3/ الوضع الإجتماعي والإقتصادي:.....**16**

ثانيا: المصادر الغربية:.....**18**

المبحث الثالث: نموذجه المعرفي ومشروعه في نقد الحضارة الغربية.....21

أولا: تعريف النموذج.....**21**

2/ نقد النموذج المعرفي الغربي والحداثي.....**24**

نتائج الفصل الأول:.....**25**

الفصل الثاني: النموذج الحلولي وأضداده وأضداده.....27

تمهيد:.....27

المبحث الأول: التوحيد ومبادئه.....28

تعريف التوحيد.....28

التوحيد في النظم الإسلامية.....29

ثنائية الخالق والمخلوق.....30

الإنسان المشترك.....31

الثنائية الفضفاضة:.....32

المسافة:.....33

القداسة:.....34

المبحث الثاني: مبدأ الحلولية.....36

أ/ الحلولية (تاريخيا).....37

ب/ تعريف الحلولية وأهم مبادئها:.....38

1/الإنسان الطبيعي المادي:.....39

2/ الطبيعة:.....40

3/ القداسة.....40

4/ المسافة.....41

5/ الإله.....42

6/ الحلولية الصلبة والسائلة:.....43

7/ العلمانية الشاملة:.....44

8/ الثنائية الصلبة.....45

9/ وحدة الوجود.....46

10/ وحدة الوجود الروحية.....47

المبحث الثالث: الفرق بين الحلولية والتوحيدية.....48

المبحث الرابع: مبدأ التجاوز.....52

1/ تعريف التجاوز والتعالي.....52

فلسفة التجاوز عند المسيري:.....54

نتائج الفصل.....56

الفصل الثالث: الدراسات المعرفية عند المسيري.....58

تمهيد:.....58

المبحث الأول: اللغة عند المسيري:.....59

1/ الدال والمدلول من المنظور الغربي:.....59

2/ الحلولية والدال والدلول:.....60

2/ الدوال في المنظور التوحيدي:.....64

3/ المجاز عند المسيري:.....66

المصطلحات:.....68

المجاز وإدراكه للإله:.....69

المبحث الثاني: المعرفة عند المسيري.....72

1/ الموضوعية المتلقية (الفوتوغرافية).....72

2/ الرصد المباشر:.....73

3/ الموضوعية المتلقية والإعلام:.....74

3/ الموضوعية الإجتهادية:.....75

النقد الأدبي في الموضوعية الاجتهادية:.....76

4/ العقل التوليدي:.....77

المبحث الثالث: الوجود والتاريخ 79

1/ ثنائية الجسد والروح.....79

2/ التاريخ:.....81

المبحث الر ابع: تقييم ونقد.....84

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع.....93